الباعث على الاستقامة

في

جهد التبليغ والدعوة

بقلم

محمد علي محمد إمام

الطبعة الأولي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

٨ سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده.. ونُصلي ونُسلم علي خير خلقه وصفوة أنبيائه ورسله سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وبعد:

أخي الحبيب الداعي إلي الله: وها نحن نواصل سلسة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة، مع الجزء الحادي عشر من السلسلة والذي سميته:

الباعث علي الاستقامة في جهد التبليغ والدعوة

فجهد الدعوة والتبليغ هو أعظم الجهود وأفضلها عند الله تبارك وتعالى، ولهذا أرسل صفوة خلقه وهم الأنبياء عليهم السلام لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة، وجعل لهم ولمن صار على نهجهم الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(١).

والمتأمل في الآيات يجد أن الله بعد أن بين حال المستقيمين على طاعة رب العالمين، قال: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}ليبين لنا أن من أعظم الطاعات هي الدعوة إلى الله عز وجل، فاستقيموا عليها وعلى سائر الطاعات.

قال ابن رجب(رحمه الله): والاستقامة في سلوك الصراط المستقيم ، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها : الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها .

وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة فصلت ــ الآيات من ٣٠ : ٣٥ .

(٢) سورة الروم ــ الآية ٣٠ .

وقد أمر الله تعالى بالاستقامة في مواضع عدة من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١).

وبيّن سبحانه هدايته لعباده المؤمنين إلى طريق الاستقامة، كما قال عز وجل : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢)، وقال تعالى:﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾(٣).

فمهما استقمنا فقد يخالفنا النقص والتقصير فأمرنا بالاستغفار لنُجبر هذا النقص والتقصير، وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم: (استقيموا ولن تحصوا) رواه أحمد، وقوله أيضا : (سددوا وقاربوا) رواه البخاري .

فالاستقامة هي عين الكرامة، وهي من نظام الأمور، وجوامع الكلم، فعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ ، قَالَ : " قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ " :ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَنْ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ

---

(١) سورة هود ــ الآية ١١٢ .

(٢) سورة الحج ــ الآية ٥٤ .

(٣) سورة فصلت ــ الآية ٦ .

مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَاةٌ ، وَعِنْدَ رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : اسْتَقِيمُوا عَلَى الصِّرَاطِ وَلَا تَعْوَجُّوا ، وَفَوْقَ ذَلِكَ دَاعٍ يَدْعُو ، كُلَّمَا هَمَّ عَبْدٌ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ : وَيْحَكَ ! لَا تَفْتَحْهُ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ " . ثُمَّ فَسَّرَهُ فَأَخْبَرَ : " أَنَّ الصِّرَاطَ هُوَ الْإِسْلَامُ ، وَأَنَّ الْأَبْوَابَ الْمُفَتَّحَةَ مَحَارِمُ اللَّهِ ، وَأَنَّ السُّتُورَ الْمُرَخَاةَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَأَنَّ الدَّاعِيَ عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ هُوَ الْقُرْآنُ ، وَأَنَّ الدَّاعِيَ مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ."رَوَاهُ رَزِينٌ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ. (١).

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً عظيماً سماه " الاستقامة " وتلميذه الإمام ابن القيم الجوزية ألف كتاب " مدارج السالكين لشرح إياك نعبد وإياك نستعين " وكتب موضوعاً كبيراً عن الاستقامة، وقد عقد الإمام النووي(رحمه الله) باباً في كتابه رياض الصالحين عن الاستقامة.

فهذه الكلمات التي جمعتها من كلام مشايخنا الكرام لتعلو هممنا، ولتثبيت أقدامنا في هذا الجهد المبارك.. ولتبعث فينا مواصلة هذا الجهد المبارك حتى نلق الله وهو راضٍ عنا.

أخوكم في الله

أبو علي محمد بن علي بن محمد بن إمام

جوال/٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الاعتصام بالكتاب والسنة.

جهد الدعوة والتبليغ

الله جل جلاله مَنّ علينا وأكرمنا بنعمة الدعوة إليه، ونحن نشكره ونحمده على هذه النعمة العظيمة، لكن لابد أن نعرف المقصود من هذا العمل، لأن مقصود جهد الدعوة هو الدين ، فالمقصود كيف تأتي الشريعة الكاملة في حياة الإنسان، فكما أن جهد الزراعة ليس هو المقصود، بل المقصود هو الحصول على الثمار والفواكه والخضر والحبوب والغذاء، والخيرات التي تترتب على جهد الزراعة ، فالإنسان لو اجتهد جهد الزراعة ولم يتحصل على شيء فماذا استفاد من جهده ؟ فهو خسر، هكذا المقصود من جهد الدعوة مهما كان حجم الخروج، ومهما كان حجم العمل المقامي، المقصود هو كيف يأتي الدين الكامل في حياة المجتهد في هذا العمل ؟ حتى تكون حياته الانفرادية والاجتماعية وفق السنة في جميع شئون حياته، فهو يري ما أمر الله ؟ وما سنة رسول الله ﷺ ؟ حتى يطبق أمر الله حسب سنة رسوله ابتغاء مرضاته في أكله وشربه ونومه وزواجه وكسبه وإنفاقه، ومع أهله وجيرانه وأقاربه، حتى في جميع سكناته وحركاته في ستين أو سبعين سنه .

الإنسان كيف يتفكر – في جميع أعماله – في تحصيل مرضاة الله ؟ وكيف يزداد هماً وحزناً وحرقة لهذا الدين ؟ ولأجل هذه الأمة ولأجل البشرية حتى يأتي إنفاق ماله ونفسه على الترتيب الصحيح ، فالمقصود هو الدين ، وإنما طريق الخروج في سبيل الله والأعمال المقامية كلها وسيلة للوصول إلى الدين الكامل، مع اليقين – والإنسان يمشي في هذا

العمل – وهذا الجهد جعله الله وسيلة، وجعل هذا العمل أقرب طريق لمنهج النبي ﷺ للوصول إلى هذا المقصد، وأن الله أخرج جميع أنواع الفساد وأتي بجميع أنواع الصلاح بواسطة هذا العمل في كل مجتمع مع كل نبي.

الاستقامة وأسبابها

لقد من الله سبحانه وتعالى علينا بنعمة جهد الدعوة إلى الله والخروج في سبيل الله، ولكن كما قال المشايخ ليس العبرة في من سبق ولكن العبرة في من صدق.

فالله ﷻ أنعم علينا بنعمه العظيمة التي لا تعد ولا تحصى فقال : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) وطلب منا الشكر على هذه النعم، فإذا شكرنا على تلك النعم فالله يزيدنا : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأزِيدَنّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٢) وعندما يزيدنا الله، لا ندرى كم تكون الزيادة ؟ لأن الزيادة من الله تعالى، والله يعطي من خزائنه وخزائنه ملأى لا تنفد أبدا.

وأعظم نعمة يَمُنَّ الله بها على الإنسان هي نعمة الإيمان والدعوة إليه(٣)، ثم الاستقامة عليها حتى الموت بصفة القبول، وليس هناك نعمة أكبر من ذلك.

---

(١) سورة النحل ــ الآية ١٨.

(٢) سورة إبراهيم ــ الآية ٧.

(٣) أي إنسان ما عنده الإيمان فقد خسر الدنيا والآخرة وناله ذلة لسجوده لغير الله ، وأي إنسان ما عنده الدعوة إلى الإيمان يخسر مضاعفة أجره يوم القيامة ، فالنبي ﷺ يقول – فى وصية لعلي رضي الله عنه – " فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " متفق عليه من حديث أبي العباس سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه ، وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

وإذا لم يشكره علي النعمة، فالله يزيل النعمة، قال تعالي: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأزِيدَنّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (١) .

وأحيانا تبقي صورة النعمة، وتزول حقيقة النعمة، وإذا قام الإنسان علي الدعوة واستقام عليها، فليس هناك نعمة أعظم من ذلك.

وإذا حرم من الدعوة، فليس هناك حرمان أكبر من ذلك.

في أول أمر الدعوة تكون هناك فترة لتربية الداعي إلى الله، فتأتي عليه الأحوال من الله.

وهذه التربية إما أن تكون بإعطاء النعم ليري الله عبده هل يستقيم على أمره في العمل أم ينشغل بالنعم عن المنعم ؟.

وإما أن تكون التربية بالابتلاء من الله عز وجل بالأخذ لينظر الله إليه هل يتأثر من الحال ويترك العمل أم يستقيم على العمل ؟

وأحيانا الابتلاء يأتي بازدياد النعمة.. وعندما تزيد النعمة، فعليه أن يزيد الشكر، ويزيد العمل، ولا ينشغل بالزيادة.. الصحابة ﷺ انشغلوا بالزيادة في خدمة الخلق

قال : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً " رواه مسلم .

(١)سورة إبراهيم – الآية ٧.

والدعوة إلى الله ﷻ .

وعندما فتح الله عليهم وفتحوا البلدان وزادت الأموال ما تغيرت حياتهم من البساطة إلى الترف، وما كانت هذه النعم مانعاً لهم عن تلبية مقتضيات الدعوة.

فشكر النعمة هي الاستقامة على الدعوة للإيمان على أي حال ، فالإنسان عليه ألا يتأثر بأية حال ، فإذا جاء حال مناسب فيري فيه أمر الله ويستقيم فيه ، وإذا جاء حال غير مناسب كذلك يري فيه أمر الله وأنه من عند الله ويستقيم فيه أيضاً ؛ ذلك لأن الداعي فعندما زادت الأحوال على النبي ﷺ، فزاد الرسول ﷺ في العبادة والدعاء وقيام الليل، حتى تورمت قدماه، ولما سألته السيدة عائشة رضي الله عنها قال ﷺ : " أفلا أكون عبداً شكوراً " .

ولما زاد الله النعم على آل داود، طلب منهم شكر هذه النعمة ، لأن الناس عند النعم تنسي المنعم وهو الله فقال تعالى : (واعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) .

إذن شكر هذه النعمة هو بالاستقامة عليها ، أي على العمل ، لذلك في غزوة أحد أشيع أن النبي ﷺ قتل فجلس أناس عن القتال ، فقد أخرج ابن إسحاق أن أنس بن النضر – رضي الله عنه – عم أنس بن مالك انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار – رضي الله عنهم – وقد ألقوه بأيديهم (أي : أمسكوا عن القتال) فقال : فما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ

، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىَ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١)(٢).

وفي البخاري وغيره عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : غَابَ عَمِّي ، أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ ، لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ ، لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي اعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ ، يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ . قَالَ أَنَسٌ : فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسٌ : كُنَّا نَظُنُّ أَوْ نَرَى أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ ، وَفِي أَشْبَاهِهِ : مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ سورة الأحزاب آية ٢٣ إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

(٢) كذا في البداية ٤/٣٤ .

يعني المطلوب الاستقامة وعندما مات الرسول ﷺ فتأثر الصحابة ﷺ بوفاة الرسول ﷺ فقرأ أبو بكر ﷺ هذه الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىَ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١)

يقول ابن القيم (رحمه الله) : فالشاكرون: هم الذين عرفوا قدر النعمة ، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا (٢). أ . هـ .

فالشكر: هو الاستقامة علي مقتضيات العمل، وعلي وقت العمل بدون التأثر، بأي حال من الأحوال فعن سعد ﷺ قال: سئل النبيﷺ : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ... الخ "رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي ، وقال الترمذي هذا حديث حسن (٣) .

فالشاكرون هم المستقيمون، الذين شكروا الله فاستقاموا على أمره، والاستقامة هي القيام على أعمال الدعوة والجهد على وقته، فتكون الاستقامة بشيئين هما تحديد العمل، وتحديد الوقت ، أي عمل للإنسان مربوط بالوقت، كذلك أعمال الدعوة

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ١٧٢/٢.

(٣) مشكاة المصابيح – باب عيادة المريض وثواب المرض ٤٩٢/١ .

مربوطة بالوقت ؛ الخروج السنوي ، والخروج الشهري ، والجولة المقامية والانتقالية وحلقة التعليم كل هذا مربوط بالوقت ، فنحدد الوقت الذي نقوم فيه بهذه الأعمال .

ونشاور الأحباب على أي عمل ما هو وقته ؟ ونحدد الوقت بالسهولة واليسر بما يناسب وقت الأحباب.

وعندما نستقيم على العمل على وقته، هنا تأتي متطلبات الدنيا ، فإذا جاءت الأحوال ، على الداعي أن يقدم مقتضيا الدين على مقتضيات الدنيا ، وهذه الأحوال لا تأتي على الداعي لخسارته ولا لتأخر دنياه ، بل لترقيه ، والله جل جلاله يقول : ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[1] كذلك الله أمر نبيه ﷺ بالاستقامة فقال: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢)، أي: استقم يا محمد ، والذين آمنوا معك .

والاستقامة على هذا العمل بتقديم أمر الدين على أمر الدنيا ففيه مجاهدة ، وهذه المجاهدة ليست ليوم ولا لشهر أو سنة ، بل هي طوال الحياة ، ولا نجعل هذا العمل حسب وقت الفراغ ، فإذا وجدنا وقت الفراغ قمنا به، وإذا لا نجد نؤجله لوقت أخر،

---

(١) سورة العنكبوت ــ الآيتان ٢ ، ٣ .

(٢) سورة هود ــ الآية ١١٢ .

فهنا قد يثاب على ما يقوم به لكنه لا يترقي أو يثبت ؛ لأن الترقي في أن تأتي بالعمل علي وقته .

وبسبب المجاهدة تأتي الهداية لقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١] فعند الخروج السنوي أو الشهري تأتي الأحوال ومقتضيات الدنيا ، فعندما يستقيم على هذا العمل فيؤخر حاجات الدنيا ، ويقدم حاجات الآخرة هذه هي المجاهدة

إذا يأتي حال من الأحوال الغير مناسبة للإنسان فماذا يفعل ؟ عليه أن يتيقن أن هذا الابتلاء ليس لهلاكه ولكن لرفعته وعزته.

وفي كل حال ينظر ماذا أمر الله في ذلك فيمتثل أمر الله في ذلك الحال، فالله يرفع الحال.

فعندما توفي الرسول ﷺ أراد ملك الروم أن يغزو المدينة وابتدأ الارتداد ، وامتنع بعض الناس عن دفع الزكاة .

ولما جاءت هذه الأحوال فأبو بكر الصديق رضي الله عنه أكبر الصحابة تضحية للدين وأكثر صحبة للنبي ﷺ، فالله شرح صدره أن يرسل جيش أسامة مع مخالفة كل الأصحاب .. فنتعلم إذا جاءت الأحوال فنتحمل ولا نعصى الله ﷻ.

---

(١) سورة العنكبوت _ الآية ١٩.

فالصحابة لما تحملوا الأحوال لله، فالله جعل الرعب في قلب ملك الروم وصالح المسلمين، ورجع الناس للإسلام ودفعوا الزكاة فنقوم بمقتضيات العمل يوميا، وأسبوعيا، وشهريا وطول الحياة، فيكون أمامنا العالم كله.

فالاستقامة علي المقتضيات، استقامة علي الوقت فالعمل يكون من داخله ولكن إذا أخذ وترك فلا يتكون.. فالحجر مع قساوته إذا جاء عليه نقطة ماء، ثم نقطة أخري ، فيتأثر الحجر ، ويظهر فيه الثقب .

فالإنسان إذا وجد الفراغ قام بالعمل، وإذا وجد الراحة قام به، وإذا اشتهي العمل قام به وإلا ترك، فالإسلام ليس فيه النفسانية وهي عبادة المادة وهي مزاج اليهود، ولا الرهبانية: وهي الجلوس في الصوامع والكنائس وهي مزاج النصارى.. والإسلام بين ذلك قواما.. تقديم حاجة الدين، وتأخير حاجات النفس، وهذا يسمي التضحية.

ولو جاء النقص في الدنيا نتحمل من أجل الدين.. فإذا فعل ذلك يوميا ، فالله ﷻ يرقيه في الهداية، ويرزقه البصيرة ، فيميز بين السنة والبدعة ، بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، ويزيده في علاقته مع ربه، ويزيد فيه النور ، والله ﷻ يعطيه الرزق الحلال من خزائنه .

وباستقامته.. الله ﷻ يرفع عنه المشاكل من ناحية الأسرة، ومن ناحية الأقارب، ومن ناحية الزوجة والأولاد، من ناحية الجيران، ومن ناحية الدولة ، قال تعالي :﴿ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مّسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطّفَكُمُ النّاسُ

فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)

فالله حل للصحابة مشاكلهم، وقضى حوائجهم، لما قاموا علي جهد الدعوة إلى الله ﷻ، في ثلاث وعشرين سنة الله ﷻ فتح عليهم كنور كسري وقيصر ، والله ﷻ غير بهم نظام العالم .

فإذا جاءت الأحوال ولم يتأثر الإنسان وقام بالمجاهدة فالله ﷻ يرزقه اليقين.. ويحل جميع مسائله الانفرادية والاجتماعية، الدنيوية، والأخروية، له ولكل الناس في جهد الرسول ﷺ .

(١) سورة الأنفال الآية ٢٦.

علامة الفهم

مرة كان الشيخ إلياس (رحمه الله) يتكلم مع أهل ميوات، ثم قال لهم: هل فهمتم ؟ قالوا: نعم فهمنا ، قال: أنتم ما فهمتم.. ولكن انظروا إلى أهل الدنيا الذين فهموا أعمالهم، تجدهم مستقيمين علي أعمالهم طول الحياة ، ليس لشهر أو شهرين .

فأول شيء من علامات الفهم أن تجد كل واحد مشغول في عمله لنفسه، فالتاجر يفتح لنفسه وليس للزبائن، والطبيب يفتح العيادة لنفسه وليس للمرضي، ولذا لا يتأثر بحال من الأحوال.. فالتاجر لو اشتد البرد يفتح الدكان ولو اشتد الحر كذلك يفتح الدكان، ولو أحد الناس: سبه وشتمه، كذلك يفتح الدكان.. فلا يتأثر من الأحوال.

ونحن في الدعوة إذا أُغلظ علينا لا نترك الدعوة، سُئلت الغزالة كيف تحفظين نفسك من الكلب مع أنه أسرع منك ؟ فقالت: لأنني أجري لحفاظه نفسي، فلذا أستمر في السير، وإذا جاءت أمامي المشقة، أستمر في السير، والكلب يجري من أجل صاحبه، فلذا لا يستمر في السير، فلذا هو لا يدركني.

فنتحرك في العالم، ونستمر في الدعوة حتى يرضى الله عنا، ويختم لنا بحسن الخاتمة.

والذين يشتغلون في أشغالهم ، ولو كانوا علي طريق السنة يؤجرون عليه، ويبارك لهم في أشغالهم، ويقومون بالأعمال باليقين أن جميع حوائجي تقضي بهذا الجهد مثل صاحب التجارة متيقن أنه يتحصل علي السيارة من التجارة، ويزوج الأولاد من التجارة

.. وهكذا .. فهذا اليقين يكون سبباً للاستقامة .

أوجز طريق لحل مشاكل الأمة، هو الطريق الذي أقام الرسول ﷺ عليه أمته.. فلما نقوم علي العمل بمزاج العمل نُفيد ونستفيد.

الموظف عنده رعاية الوقت.. ولكن التاجر عنده رعاية العمل وليس الوقت.

التاجر عنده أسلوب طيب في الكلام، وكأنه يعرف الزبون من زمان.. فلذلك نتحرك في الدعوة بمزاج التاجر، يكون عندنا رعاية العمل، مع حسن الكلام في الدعوة.

العنب رزق حلال، ولكن إذا تغير ترتيبه يصير خمرا، فكذلك إذا جاء الغرور يأتي الكبر، فبدل التجميع يكون التشتيت.

إذا ندعو إلى الصلاة، نكون أول المصلين .

وإذا ندعو إلى العلم، نكون أول المتعلمين .

وإذا ندعو إلى الأخلاق، يكون عندنا الأخلاق الحسنة.

وإذا دعونا إلى الجهد، نكون أول المجتهدين.. فلا نخطو خطوة إلا بالوحي (أي علي الكتاب والسنة).

مزاجم العمل

أن نقوم بالعمل، ونظرنا علي الله سبحانه وتعالي، أننا نقوم به بتأييد الله ﷻ، فالأنبياء كانوا إذا التفتوا قليلا، فالله ﷻ كان يوجههم، فعندما قال يوسف : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبّكَ فأنسَاهُ الشّيْطَانُ ذِكْرَ رَبّهِ فَلَبِثَ ﴾ (١) فما كانت النتيجة ؟ ﴿ فلبث فِي السّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (٢) .

والرسول ﷺ عندما سئل عن بعض المسائل، فقال الجواب غدا ونسي، أن يقول: إن شاء الله، فتأخر عنه الوحي، وقال له الله ﷻ ﴿ وَلاَ تَقُولَنّ لِشَيْءٍ إِنّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاّ أَن يَشَآءَ اللّهُ وَاذْكُر رّبّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىَ أَن يَهْدِيَنِ رَبّي لأقْرَبَ مِنْ هَـَذَا رَشَداً ﴾ (٣) .

القيام علي هذا العمل بحسن النية والإخلاص، ولا يكون أمامي غير الله والآخرة، يكون عندنا الإخلاص والاستخلاص.

الذي عنده يقين أن العمل حق، يستقيم.

---

(١) سورة يوسف الآية ٤٢

(٢) سورة يوسف الآية ٤٢ .

(٣) سورة الكهف الآيتان ٢٢، ٢٣ .

الذي عنده تردد في الداخل، لا يستقيم.

الذي يمتثل أمر الله ﷻ ، يستقيم إلى الموت .

الذي يعيش مع العمل، ولا يرتبط بالأشخاص، فالله ﷻ يكرمه بالاستقامة. .

والذي ينتقد الناس، لا يستقيم.

الذي يشعر من داخله أنه من عامة الناس، يستقيم أي يأكل مع الناس، ويمشي مع الناس، ويعيش مع الناس.

الذي يري عيوب الناس، ولا يري عيوبه،لا يستقيم على العمل .

لابد من التمسك بالأصول لأن هذا الزمن، زمن الفتنه .. يُري الحق باطلاً .. والباطل حقا .

إذا تركنا الأصول أصحابنا، يضرونا، وإذا تمسكنا بالأصول فأعدائنا يحبونا.. الرسول ﷺ رمي بالحجارة في الطائف، ولم يدعو عليهم، بل دعا لهم.. وفي أحد أراد أن يدعو عليهم فقال له الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (١)

ماذا فعلنا للأمة كي ندعو عليها ؟ هل بكينا من أجل الأمة ؟

أهل مكة ضربوا بلال رضي الله عنه، ولم يدعو عليهم، وأبو بكر رضي الله عنه عندما منع النفقة عن

---

(١) آل عمران الآية ١٢٨ .

مسطح، الذي أثار فتنة الإفك فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوَاْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوَاْ أَلاَ تُحِبّونَ أَن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) فنراعي هذا الجهد ، ونصبر ونتحمل .

(١) سورة النور الآية ٢٢ .

ثمرات الاستقامة

إذا مشي الإنسان بهذه المجاهدة يقوم الدين وتنتشر الهداية، والله يمن عليه بثمرات الهداية وهي ثلاث :

الثمرة الأولي : **أن الداعي – كل يوم – تزداد هدايته ويترقي فى إيمانه ولا حد لترقيه** : فالرسول ﷺ أخر صلاة صلاها كان يقول : ﴿اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ [١] والهداية والترقي لا حد لهما ، فالداعي يومياً يزيد فى الترقي والهداية، ويرتبط مع الله ويلتزم بالسنة، ولا حد للترقي والباب مفتوح .

وكذلك الداعي مع ترقيه ورفعته يكون عنده التواضع ويتهم نفسه ، فهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مع تضحياته كيف نظره إلى نفسه: فعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ الْعَنَزِيِّ ، قَالَ : كَانَ عَلَيْنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ أَمِيرًا بِالْبَصْرَةِ ، فَوَجَّهَنِي فِي بَعْثِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ ، فَضَرَبْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَخَرَجَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا ضَبَّةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْعَنَزِيُّ . قَالَ : فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ ، وَقَدَّمَ إِلَيَّ طَعَامًا ، فَأَكَلْتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَهُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ، فَبَكَى . فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ . فَازْدَادَ بُكَاءً لِذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَبْكِي : وَاللَّهِ ، لَلَيْلَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَيَوْمٌ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ ، هَلْ لَكَ أَنْ

---

(١) سورة الفاتحة ــ الآية ٦ .

أُحَدِّثُكَ بِيَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَمَّا اللَّيْلَةُ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَارِبًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ خَرَجَ لَيْلًا ، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَجَعَلَ مَرَّةً يَمْشِي أَمَامَهُ وَمَرَّةً خَلْفَهُ ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِهِ وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ ! مَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ فِعَالِكَ ! " ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَذْكُرُ الرَّصَدَ فَأَكُونُ مِنْ أَمَامِكَ ، وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ فَأَكُونُ خَلْفَكَ ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِكَ وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِكَ لا آمَنُ عَلَيْكَ . قَالَ : فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَهُ كُلَّهُ حَتَّى أَدْغَلَ الطَّرِيقُ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ حَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَجَعَلَ يَشْتَدُّ بِهِ حَتَّى أَتَى بِهِ فَمَ الْغَارِ ، فَأَنْزَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لا تَدْخُلْهُ حَتَّى أَدْخُلَهُ أَنَا قَبْلَكَ ، فَإِنْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ نَزَلَ بِي دُونَكَ . قَالَ : فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ ، فَإِنَّ فِي الْغَارِ خَرْقًا أَسُدُّهُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ رِدَاءٌ فَمَزَّقَهُ ، وَجَعَلَ يَسُدُّ بِهِ خَرْقًا خَرْقًا ، فَبَقِيَ جُحْرَانِ ، فَأَخَذَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمَلَهُ ، فَأَدْخَلَهُ الْغَارَ ثُمَّ أَلْقَمَ قَدَمَيْهِ الْجُحْرَيْنِ ، فَجَعَلَ الأَفَاعِي وَالْحَيَّاتُ يَضْرِبْنَهُ وَيَلْسَعْنَهُ إِلَى الصَّبَاحِ ، وَجَعَلَ هُوَ يَتَقَلَّى مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَعْلَمُ بِذَلِكَ ، وَيَقُولُ لَهُ : " يَا أَبَا بَكْرٍ ! لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا سورة التوبة آية ٤٠ " ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى رَسُولِهِ السَّكِينَةَ وَالطَّمْأْنِينَةَ لِأَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَهَذِهِ لَيْلَتُهُ . وَأَمَّا يَوْمُهُ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نُصَلِّي وَلا نُزَكِّي ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : نُزَكِّي وَلا نُصَلِّي ، فَأَتَيْتُهُ لا آلُوهُ نُصْحًا ، فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! ارْفُقْ بِالنَّاسِ . وَقَالَ غَيْرِي ذَلِكَ ،

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : قَدْ قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَارْتَفَعَ الْوَحْيُ ، وَوَاللَّهِ ، لَوْ مَنَعُونِي عِقَالا مِمَّا كَانُوا يُعْطُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ . قَالَ : فَقَاتَلْنَا مَعَهُ ، فَكَانَ وَاللَّهِ رَشِيدُ الأَمْرِ ، فَهَذَا يَوْمُهُ . ، فهذا عمر الذي قال فيه النبي ﷺ : لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رواه الحاكم في المستدرك باب معرفة الصحابة . وقال .هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ . " ، ولكن كيف تواضعه ؟ .

الثمرة الثانية : **الله يصلح للداعي دنياه ويرزقه الرزق الحلال** :

الإنسان إذا استقام على الجهد للدين فالله يصلح أخرته، والدنيا ظل الآخرة .

فالله يصلح آخرته لأن صلاح الآخرة يدور على صلاح دنياه ، ولأن الله أعطي هذا الدين لصلاح الدنيا والآخرة ، فكل أمر من أوامر الله نجد فيه وعداً بالآخرة وكثيراً ما نجد منه وعداً بالدنيا ، فبالإيمان الإنسان يتحصل الجنة ، وفي الدنيا له العزة ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [(١)] لذلك الله يرزقه الرزق الحلال من خزائنه الغيبية ، فالصحابة بعد غزوة خيبر لم يكن أحد منهم فقير ، وفي زمن عمر لم يكن هناك من يستحق الزكاة ، لذلك يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [(٢)]

---

(١) سورة المنافقون ــ الآية ٨ .

(٢) سورة الأعراف ــ الآية ٨٦ .

لذلك الصحابة لو اجتهدوا على الدنيا بطريق الدنيا والأسباب ولو ألف عام ، ما كانوا رزقوا ما رزقهم الله عز وجل في الخمسة والعشرين عاماً .

النبي ﷺ أحب الدعاة إلى الله، ولا يرضي الله له أن يأكل إلا طيباً، لذلك لما أكل من الشاة التي أخذت بغير إذن وليها ما استطاع أن يبلع اللحم حتى ألقي بها وقال: " هذه الشاة أخذت بغير إذن وليها "[١] ، وكان ذلك . (٦).

وأبو بكر الصديق – رضي الله عنه – لما أكل من طعام عبد عنده أدرك أن الطعام شبهة فظل يستقيء وقال : " لو أعلم أن روحي تخرج مع آخر لقمة لفعلتها " [٢] ، فلذلك الاستقامة على العمل ثمرته من ناحية الآخرة وناحية الدنيا.

الثمرة الثالثة : الله يحل لنا جميع مشاكلنا: الله سبحانه وتعالى باستقامة الداعي يحل له جميع المشاكل ويحل له جميع المسائل ، ويرفع عنه الأحوال .

فأهل المدينة – عند بعثة النبي ﷺ – كانت أحوالهم فاسدة ، لكن الله أصلح حالهم وتصالح الأوس والخزرج ، ورزقهم الله .

(١)أخرجه أبو داود ، وانظر البداية والنهاية (١٩٨/٦).

(٢)الجامع الكبير للسيوطى الحديث (٤١٧) ، والإصابة (٢٢/٣) ، وكذا فى المنتخب (٣٦٠/٤) .

أسباب الاستقامة

السبب الأول: من أسباب الاستقامة:

أن يكون في قلبي انشراح ويقين وتصديق على أن هذا العمل هو عمل النبوة ، وبسببه الله يهدي العالم كله .

فالاستقامة على هذا العمل تكون بحسب يقين الداعي وانشراحه لهذا العمل ، فبقدر ما يكون انشراحه وبقدر ما يكون يقينه على العمل بقدر استقامته على العمل .

لذلك الشيخ إلياس (رحمه الله) كان يتحدث مع أهل ميوات، وبعد ما فرغ من الكلام قال لهم : هل فهمتم ؟ قالوا : نعم ، قال : ما فهمتم ؟ ولكن سمعتم ، وإذا أردتم أن تعرفوا أي شيء يراد به الفهم فاخرجوا خارج المسجد لتروا أهل الدنيا الذين فهموا دنياهم ، التاجر فهم تجارته واستقام عليها ، والمزارع فهم زراعته واستقام عليها ، والمهندس فهم هندسته واستقام عليها ، والطبيب طبه والحاكم حكومته ، والكل يعمل بدون الترغيب ولا التشكيل والتحصيل ، فالكل مستقيم على دنياه ليس لثلاثة أيام ولا أربعين يوماً ولا أربعة أشهر بل طوال عمره وعلي جميع الأحوال ، فكلهم فهم شغله وقام عليه وهو مستقيم عليه، لماذا ؟ لأنه فهم أن هذا شغله وأنه حاجته ومقصده .

فالاستقامة تكون بحسب يقينه على هذا العمل ، فإذا عنده يقين يستقيم عليه ، وإذا ما كان عنده يقين فهو يعمل للبركة ، وإذا ما تحصل شيئاً يترك العمل ويقول : أنا

خسرت ، وكذلك من يريد الأجر والثواب فيأتي ، لكن إذا جاءت المجاهدة ومنصبه لا يتحمل فيترك ، لذلك نحن نريد اليقين والانشراح على هذا العمل .

الشيخ محمد إلياس(رحمه الله) كان عنده انشراح تام وعجيب على هذا العمل ، مع أن فى بداية هذا العمل لم يكن هناك استقبال من الناس ، ولم يكن أهل دلهي يأتون إلى نظام الدين وهو على بعد نصف ساعة ، لكن الشيخ إلياس كان يقول للمعمار الذي يبني وحوله أهل ميوات: أبنوا المكان (بحري) بحيث يأتيه الهواء الطيب حتى يأتي فيه العرب ، وهذه الغرفة هنا لأهل أوروبا ، وهنا لأهل أمريكا . فهنا أهل ميوات الذين كانوا يرافقونه حينما يتنحون جانباً يقولون: الشيخ حدث شيء في رأسه ، الناس لا يأتون إلى نظام الدين من مسافة نصف ساعة ، وهو يظن أن أهل أمريكا وأوروبا والعرب يأتون إلى هنا ، الشيخ أصابه خرف أو جنون .

لكن الشيخ كان عنده انشراح كبير [١] على هذا العمل ثقة ويقينا بأن الله سيأتي بالعالم كله إلى نظام الدين ، حتى أنه في يوم من الأيام كان الحاضرون في نظام الدين سبعين دولة في وقت واحد .

---

(١) فهكذا كان رسول الله ﷺ عنده الانشراح الكامل واليقين التام على هذا الدين ، فقد بشر بهذه الأحوال كلها فى الوقت الذي لا تري من هذه الأحوال أي مؤشرات أو علامات.

فقد أخرج أحمد عن عدي بن حاتم قال : لما بلغني خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة فخرجت حتى وقعت ناحية الروم — وفى رواية : حتى قدمت على قيصر ، قال : فكرهت مكاني

لذلك مرة الدكتور: ذاكر حسين [١] وكان رئيس الجامعة الملية بدلهي ، كان من أحباب الشيخ إلياس مرة دعاه للجامعة ليتكلم مع الطلاب ، وقال الدكتور للطلاب: يأتيكم

ذلك أشد من كراهيتي لخروجه ، قال : قلت : والله لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرني وإن كان صادقاً علمت ، قال : فقدمت فأتيته ، فلما قدمت قال الناس : عدي بن حاتم ! عدي بن حاتم ! قال : فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي : " يا عدي بن حاتم ! أسلم تسلم ثلاثاً " قال : قلت : إني على دين ، قال : " أنا أعلم بدينك منك " فقلت : أنت أعلم بديني مني ؟ قال : " نعم ، ألست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك ؟ " قلت : بلي ، قال : " فإن هذا لا يحل لك فى دينك " قال : نعم ، فلم يعد أن قالها فتواضعت لها ، فقال : " أما أني أعلم الذي يمنعك من الإسلام ، تقول : إنما اتبعه ضعفه الناس ومن لا قوة لهم وقد رمتهم = = العرب ، أتعرف الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد سمعت بها ، قال " فو الذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد ، وليفتحن كنوز كسري بن هرمز ، قال : قلت : كسري بن هرمز ؟ قال : نعم كسري بن هرمز ، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد ، قال هدي بن حاتم : فهذه الظعينة تأتي من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسري ، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة ، لأن رسول الله ﷺ قد قالها .

(١) دكتور / ذاكر حسين هذا كيف عرف الشيخ ، محمد إلياس ؟

عرف الدكتور / ذاكر حسين الشيخ / إلياس عن طريق سائق ركشة كان يخرج مع الشيخ ، إلياس رحمه الله ويحبه ويحضر مجالسه ، وكان الدكتور / ذاكر حسين رئيس الجامعة الملية يذهب للجامعة فترتين ، صباحاً وبعد العصر ، وكان سائق الركشة يكلم الدكتور كلما أوصله يقول له : لو سمعت الشيخ / إلياس لأعجبك ، عنده هم شديد على حال المسلمين ، ويتكلم مع الناس بحرقة ، ويشكل الناس للخروج فى سبيل الله ، ويدعوهم للتمسك بالله واليقين بالله تعالى .... ، فقرر الدكتور ذاكر حسين الذهاب إلى

واحد من العلماء يتكلم معكم تستجيبوا أو لا ولكن لا تستهزئون به[١]، المهم الشيخ ذهب إليهم وكلمهم وبعد ما فرغ قال لهم : يا أولادي ! المطلوب منكم شيء بسيط ، أنتم في الأسبوع مرة واحدة فى هذه الجامعة تدورون حول المسجد وتجمعوا الناس للصلاة ، فهنا ضحك طالب ، وكاد الدكتور ذاكر حسين أن يحتد عليه فاستوقفه الشيخ إلياس وقال للولد: لماذا ضحكت ؟ قال: نحن ما جئنا من بلادنا لنتجول ، فسأله الشيخ: لماذا جئت ؟ قال الطالب: جئنا للدراسة والشهادة، فقال له الشيخ : أنت من أين ؟ قال : من موريشيوس ، فقال له الشيخ : أنت لا تتجول؛ ولكن عدني أنه إذا جاءتك جماعتي من نظام الدين أن تناصرها ، فالطالب قال : هذا الرجل مجنون.

الشيخ إلياس فى يوم بعد العصر بدل الذهاب للجامعة ، فذهب ذات يوم وسمع الشيخ وتأثر تأثيراً شديداً حتى قرر أنه يذهب للجامعة صباحاً والفترة الثانية يكون من الشيخ / إلياس ، وقد كان .

(١) في ذلك الزمان كان الإلحاد والزندقة في الجامعات والمدارس والبدع والفتن في العوام ، وكان سؤال الأموات والذهاب للقبور والتوجه للأولياء على أشده ، وجامعة " على جرا " الآن على ترتيب الدعوة مائة فى المائة ، والمدرسون فيها يخرجون المدد الطويلة ويذهبون للعالم للدعوة ، لكن هذه الجامعة أول مرة ذهبت إليها الجماعة ، الطلاب سخروا منهم وأدخلوهم قاعة وفتحوا المراوح عليهم فى موسم الشتاء ، وحتى حينما ذهب إليهم مدير دار العلوم ديوبند ما سمعوا كلامه ، لأنه البيئة كانت فاسدة ، بيئة الزندقة والإلحاد .

.

بالنظر للواقع لا أحد يستجيب من هنا في دلهي، فكيف تتحرك الجماعة وتذهب إلى أفريقيا أو غيرها ؟ ثم مرت الأيام والشهور والسنين وتكونت جماعة إلى أفريقيا لموريشيوس، فرجل تاجر من دلهي من أهل الدعوة أعطي للجماعة رسالة وقال: لي صديق هناك فتزورونه لعله يتعاون معكم، فذهبت الجماعة وسألوا عنه فقال أهل المقام: هذا الرجل من الوجهاء ومشغول جداً وصعب نرتب ميعاداً، فألحت الجماعة حتى ذهبت لهذا الرجل، فلما رأي التاجر هذه الوجوه سألهم من أين ؟ فقالوا: من الهند، قال : الهند كبير، من أين في الهند ؟ قالوا: من دلهي، قال: دلهي كبير من أين في دلهي ؟ فقالوا : من نظام الدين ، فهنا بكي الرجل وقال: صدقت رؤيا المجنون، وكان يبكي بشده، ثم أخبر الجماعة أن الشيخ محمد إلياس جاء للجامعة ودعاهم وهو قال عليه مجنون وما صدقه ، والله قدر هدايته على أيديهم .

فالشيخ إلياس رحمة الله كان عنده اليقين والتصديق التام على هذا العمل وكان يقول : أنا أتيقن أن هذا العمل هو عمل النبوة .

لذلك أحبابنا الكرام ! اليقين على هذا العمل هو سبب الاستقامة ، فإذا كان عندنا اليقين علي هذا العمل فالله يرزقنا الاستقامة عليه ، والذي يستقيم على العمل يطلب القبول فإنه يوم القيامة يدخل الجنة بنسبة دخول الأنبياء كداع إلى الله ، فرجل يأتي يوم القيامة ويكون معه أهل قرية ؛ أو مدينة ، ورجل ومعه إقليم أو بلد وهم الذين اهتدوا بسببه .

الشيخ سعيد أحمد رحمة الله كان يقول: والله لو يخرج الشيخ إنعام الحسن من قبره ويقول: هذا العمل ليس فيه هداية الناس لقلت له : أنت كاذب.

السبب الثاني: من أسباب الاستقامة :

أن يمشي الإنسان في هذا العمل بنية نفسه: فالداعي يعمل في هذا السبيل بنية هداية نفسه، لكن الذي يمشي في هذا السبيل بنية هداية الآخرين، لو جاء الناس يأتي فيه العجب، ولو أن الناس رفضوا يأتي عنده اليأس وكلاهما خطر على الداعي.

المشكلة أن الداعي يبدأ دعوته بنية نفسه، ولكن بعد مرور السنين ينسي ويعمل للآخرين فيأتي عنده اليأس ويبدأ الشكوى ويقول: أنا منذ سنوات وأنا أتحرك والناس ترفض فيترك العمل وهذا مدخل الشيطان.

لكن الذي يشتغل بنية نفسه للعالم كله، في جميع الأحوال فهو يستقيم ولا يهمه شيء، لأنه يعمل لنفسه ويخاف على نفسه، فلا يعجب بحال الإقبال ، ولا ييأس بحال الإدبار ، نحن مثل التاجر الذي فتح الدكان ، فهو فتحها لنفسه مع أن الناس تستفيد منه، كذلك التاجر يفتح في كل الأحوال الحر والبرد ولا يمنعه شيء ، كذلك لو عاب فيه أحد لا يغضب ولا يغلق دكانه .

مثال عجيب: سألوا الغزال: كيف تهرب من كلب الصيد المدرب ؟ قال : لأن كلب الصيد يجري من أجل سيده ، فإذا خاف على نفسه رجع وتحمل زجره وضربه ، أما أنا فأجري لأجل نفسي وحفظ روحي .

الشيخ يوسف(رحمه الله) كان قبل البيان يجلي ساكنا صامتاً فسأله أحدهم وقال : يا شيخ ! هل تقرأ شيئاً قبل البيان ؟ قال الشيخ يوسف: لا ، أنا لا أقرأ شيئاً ، ولكن أنا أخاطب نفسي أن هذا الكلام يا يوسف لك ، هذا الكلام ليس للآخرين ، ولكن لنفس أنا .

السبب الثالث: من أسباب الاستقامة:

أن يطمئن الداعي على قضاء حوائجه: ففي ضوء سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام – رضي الله عنهم – أن يطمئن الداعي فى هذا السبيل أنه بهذا العمل الله يقضي حوائجه وحوائج أهله ، ويحل مسائله ومسائل أهله ، المسائل الدنيوية والأخروية لي ولأولادي وللأمة كلها، فعندما ننظر للصحابة الكرام كانت أول مسائلهم هي مسألة الهداية ، فعندما قاموا على الجهد الله أعطاهم الهداية ونشر الدين على أيديهم، لأن الهداية هي أكبر حاجة وأعظم مقصد .

وكذلك الصحابة الله أكرمهم وفتح عليهم الأرزاق ولكن كيف حدث ذلك ؟

الله سبحانه خلق الأشياء والأسباب وجعل فيها أمره، فالله خلق الزراعة والتجارة والهندسة والطب وغيرها، وأعطي الأوامر في هذه الأسباب والأشياء.

والإنسان إذا أمتثل أمر الله في هذه الأسباب، فالله سبحانه وتعالى يعطي الدنيا مع الدين، وإذا أعطي الله الأسباب والأشياء والأموال مع الدين، فهذه الأسباب وهذه

الأموال لا تزاحم الدين، وإنما تكون هذه الأموال وهذه الأسباب معاونة للدين ، ومعاونة للدعوة إلى الله .

فالداعي يجتهد وهو مطمئن أن الله بقدرته يرزقه من خزائنه الغيبية التي لا حد لها ولا نهاية، ويحل له جميع مشاكله، ويقضي له جميع حوائجه من الإبرة إلى دخوله الجنة.

ولابد أن نعرف أن الله يقي حوائج الكافر بالأسباب المادية، وأنه تعالى يقضي حوائج المسلم بالأسباب الإيمانية، لذلك سيدنا أبو هريرة يقول: كنت أسقط من الجوع ، ولكن الآن ما منا من أحد إلا وأصبح أميراً على مصر أو عريفاً أو جابياً.

السبب الرابع من أسباب الاستقامة :

القيام على عمل الدعوة بمزاج النبوة: كل عمل له مزاج ، فعمل الشرطي له مزاج ، وعمل الموظف له مزاج ، والتاجر له مزاج ، فإذا قام العمل على مزاجه يستفاد منه ، فالشرطي مزاج عمله الشدة لبيان الحق ورد الحقوق ، والموظف مزاجه مراعاة الوقت ، فلو جاء وقت انتهاء العمل لا ينظر للناس وبئسهم وتعبهم بل انتهي الوقت يغلق، أما التاجر فمزاجه اللين ويلاقي الناس بالبشاشة والاحترام، لأن همه كيف يخرج المال من جيب الزبون ؟ لا يغلق مبكراً طالما هناك زبائن ، ولا يهتم بالطعام أو المنام .

لكن لو جاء مزاج الشرطي عند التاجر هل يبيع تجارته ؟ لا ، فلو جاء زبون وسأله من أين أنت ؟ وأين تسكن ؟ فهنا لن يشتري أحد منه شيئاً ، كذلك لو جاء عند

الشرطي مزاج الموظف، فيأتي إليه متشاجرون فيقول انتهي وقت الشغل تأتون غداً ، فكيف يقوم العدل ؟!

ونحن لابد تدريجياً يأتي عندنا مزاج النبوة، لكن ما هو مزاج النبوة ؟

مزاج النبوة هو تطبيق الحياة حسب ما يدعو إليه، لأن الفلسفة همها الكلام، وإثبات كلام بكلام ، أما النبوة فمزاجها العمل ، إذن مزاج النبوة هو تطبيق ما يدعو الناس إليه ، فقد كان النبي ﷺ يدعو الناس إلى الإيمان ، وكان أشد الخلق إيماناً ، ولأجل قوة الإيمان ، كان عندما يدعو أحداً فبقوة الإيمان يتأثر حتى يغير من حياته ، لذلك من اخترط على النبي ﷺ سيفه فقال له : من يمنعك مني ؟ قال رسول الله ﷺ " الله ، الله " فسقط السيف من يده ، هذا بقوة إيمانه ، وكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى الصلاة ، وكان يقوم يصلي من الليل حتى تتفطر قدماه وكان يقول : " أفلا أكون عبداً شكوراً " ، وكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى العلم ، وكان لا يخطو خطوة إلا في ضوء الوحي ، وكان النبي ﷺ يدعو إلى الذكر وكان ذاكراً على كل حال ، فكانت عينه نائمة والقلب يقظان ، وكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى الأخلاق فعنده مكارم الأخلاق مع أهله وجيرانه حتى مع الأعداء ، ففي فتح مكة لم ينتقم ممن حاربه ، وكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى الإخلاص وهو لا يبتغي بدعوته ولا ببذله ولا بتعبه إلا وجه الله ، فشهد الله له بذلك فى القرآن فقال تعالى : (وما تسألهم عليه من أجر) ، وكان يدعو الناس إلى المجاهدة والتضحية ، فكانت الأمة تربط على بطنها حجراً وكان النبي ﷺ

يربط على بطنه حجرين ، فهو لا يرغب الأمة للتضحية فقط بل هو يتقدم الأمة فى التضحية .

لذلك كان الشيخ إلياس رحمه الله يقول : أخوف ما أخاف على أهل الدعوة مخافتين أن يظنوا أنهم في هذا العمل ، وهو ليسوا فيه ، لأن من في الدعوة لابد أن يسير بمزاج هذا العمل وهو مزاج النبوة، ومزاج النبوة أن تمشي بحقيقة الصفات الستة، والثاني أن تتوافر معهم الأسباب المادية فيركنوا لها ويعتمدوا عليها فيرفع الله نصرته الغيبية .

لذلك كيف هذه الصفات تأتي في، وكيف ازداد يومياً فيها ؟

بالاستقامة على عمل الدعوة يوماً بعد يوم يتقوى يقين العبد بربه فلا يتوجه لأحد سواه ، ويزيد الإتباع للنبي ﷺ فلا يقدم على سنته شيء ، ويزيد العبد خشوعاً في صلاته فلا ينشغل في صلاته بغير الله ، ويزيد علماً بتعلمه كل يوم مع التربية والطاعة ، ويصبح ذاكراً لله على كل حال ، ويأتي عنده الأخلاق ، حتى يؤدي جميع حقوق الناس بمعاملتهم بالإحسان ، ويأتي عنده إكرام المسلمين لأجل إسلامهم وإيمانهم، ويكون عنده الإخلاص فيتفكر أن يتحصل على مرضاة الله في جميع أعماله ، ثم يأتي عنده الهم والحزن والحرقة لهذا الدين حتى ينفق النفس والمال بالترتيب الصحيح ، لأن المقصود من الصفة السادسة ليس فقط أربعين يوماً أو أربعة أشهر أو ثلاثة أيام فهذا ألف باء تاء الدعوة ، إنما المطلوب من كل واحد للدعوة أن يخرج من خداع الشيطان ، وأمانيه ، فهو غرر بنا والكل يظن أن المال مالي أنفقه على نفسي كيفما تهوى النفس ، ولكن

رسول الله ﷺ أقام في الأمة الترتيب الصحيح في إنفاق المال وبذلة وفي التضحية بالنفس في القرن الأول ، فجاء الدين في الصحابة وانتشر بهم في بقاع الأرض .

ولذلك في ضوء حياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ما منهم من أحد أنفق ماله على هواه ، بل ما من مقتضي يأتي لإعلاء كلمة الله عز وجل إلا قدم الصحابي ماله ونفسه ، وعنده الاستعداد للتضحية لأعلى درجة .

فكيف ننفق نحن هذا المال وهذه النفس فى المصارف الصحيحة التي أقامها رسول الله ﷺ ؟

فهذه المصارف هي :

المصرف الأول : إنفاق المال والنفس فى إعلاء كلمة الله عز وجل ونشر دينه بغير حساب .

المصرف الثاني : إنفاق المال والنفس لإحياء أركان الإسلام فى حياته ومجتمعة وفي الأمة كلها بغير حساب ، وذلك فى الصلاة والزكاة والحج لكي تحيا أركان الإسلام فى حياته .

المصرف الثالث : إنفاق المال والنفس فى خدمة خلق الله ومنفعتهم بغير حساب ، وذلك أنه خليفة في الأرض لله تعالى فيخدم خلقه وينفعهم .

المصرف الرابع : إنفاق المال والنفس في حاجاته بقدر الضرورة، لأن الحاجات لها حد أما الشهوات فليس فيها حد ، وقد تعلم الصحابة الكرام رضي الله عنهم كيف ينفقون أموالهم وأنفسهم على الترتيب الصحيح .

فكيف نحن تدريجياً نزيد في هذه الصفات الست ونترقى فيها ويأتي عندنا مزاج العمل والإنفاق بترتيب النبوة والصحابة الكرام ؟

مرة قال الشيخ إحسان: الحكومات والمسئولون ينظرون إلينا ليروا أمرنا، ونحن نقول لهم: نحن لا نريد الكراسي ولا الأموال ولا المناصب، ولكن المقصود هو أن نكون خلف النبي ﷺ يوم القيامة .

ويقول الشيخ إلياس : لو جاءت الصفات الست في الأمة ، فأول شيء أن أي عمل يعمله الإنسان يستحق عليه الثواب والأجر لأن فيه حقيقة العمل ، الأمر الثاني أن الله يجمع الأمة علي اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم إذا جاءت حقيقة الصفات ، والأمر الأخير أن كل فرد في هذه الأمة يأتي عنده الاستعداد لتقبل الدين كله في حياته ، لذلك كيف نحن يومياً نترقى في هذه الصفات ؟ .

السبب الخامس من أسباب الاستقامة :

نمشي في هذا العمل بالإخلاص والاستخلاص، يقول الشيخ إلياس(رحمه الله) : أساس هذا العمل أربعة: الإخلاص والاستخلاص، والاجتماعية، والشورى ، إذا فقد واحد منها فالعمل في خطر والعاملين عليه في خطر .

والإخلاص: ألا نبتغي في هذا العمل إلا وجه الله ، لا نبتغي إمارة ولا سمعة ولا رياءً ولا حكومة ولا ملكاً ، ولا مالاً ولا عزة ، ولكن لا نبتغي إلا وجه الله كما كان النبي ﷺ ، فقد قال الله على لسانه ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

والاستخلاص: وهو أن نستخدم كل ما أعطانا الله من قوة النفس وقوة المال وقوة العلم وقوة البصيرة وأي صلاحية أخري للدعوة إلى الله .

فنسير في هذا العمل بالاستخلاص، مثل الزوجة التي لها ضرائر ، فهي مستخلصة لزوجها موقوفة عليه ، وكذلك مثل الفرس الذي يجر العربة فوضع على جانبي وجهه حجابين حتى لا ينظر إلا أمامه فقط وهو يسير، لأن هذا الوقت وقت الفتن، والفتن تأتي أحياناً باسم الدين فيقع فيها الإنسان، لذلك يقول تعالى: فلا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله لذلك للحفظ من هذه الفتن، ينشغل في هذا العمل ويشتغل فيه بصفة الاستخلاص وبدون أن نحقر أي جهد أخر للدين، لأن كل الجهود الأخرى هي لخدمة دين الله تعالى، ونحن لا نري أي جهد أخر مزاحماً أو مقابلاً لنا، لأن الحق لا يزاحم الحق ولا يقابله، بل يكون معاوناً للحق، ولكن عملنا نحن هو أقرب الجهود لعمل النبوة .

---

(١) سورة الشعراء ــ الآية ١٠٩ .

السبب السادس من أسباب الاستقامة :

نمشي في هذا العمل بالاجتماعية: نشتغل في هذا العمل بصفة الاجتماعية، والاجتماعية هو أن تكون قلوبنا مجتمعة متآلفة متحابة ، حتى لو كان ثلاثة رجال فقط فيكونون مؤيدين من الله تعالى إذا كانت قلوبهم مجتمعة ، وتكون قلوب أهل المنطقة مجتمعة، وقلوب أهل الدولة مجتمعة حتى تكون قلوب العاملين على مستوى العالم مجتمعة ، فلا يكون أي غل وشتات، ولا تفرق ولا سوء ظن، وإنما تكون قلوبنا صافية مع كل الأحباب ، لذلك يقول الشيخ محمد إلياس رحمة الله : أول سلعة يتاجر بها الشيطان بين الأحباب هي سلعة سوء الظن .

فيأتي الشيطان ويقول لك: أنظر لفلان عمل كذا وكذا، ويقول كذا وكذا، فرد عليه، فهنا تتوقف الاستفادة لرؤيتنا للعيوب، لذلك يقول الشيخ إلياس : الأمة لو يحيي فيها حسن الظن فالله يفتح عليها أبواب الخير .

فلا يكون في قلوبنا سوء الظن، لأنه بعد ذلك يأتي التجسس، وبعد التجسس تأتي الغيبة، وإذا جاءت الغيبة تأتي النفرة في القلب ولا يقبل منه النصيحة، لأن عملنا هذا هو أن نضحي التضحية المطلوبة بالنهج الصحيح مع الإخلاص ، والنصح لكل مسلم ،فعملنا ﴿ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

---

(١) سورة النساء ــ الآية ٨٤ .

فكل واحد يقيد نفسه بالأصول والجهد والتضحية، ويرغب الآخرين بالشفقة والمحبة والنصح والأمانة، ونشكر سعي جميع الأحباب، فواحد يعطي ساعة نشكره، وواحد يعي يوماً نشكره، واحد يعطي ثلاثة أيام نشكره، ونحن نرغبه للازدياد بالشفقة والرحمة، لأنه عندما يكون النصح من القلب يكون التأثر في الناس، ولكن إن لم تكن النصيحة من القلب بالمحبة والرحمة مهما كان الكلام طويلاً وجميلاً لا يكون فيه التأثر .

ذات مرة الشيخ أحمد لات سأل الشيخ إنعام الحسن رحمه الله فقال له : هناك بعض الناس يخبروننا عن عيوبنا فيأتي حبه في قلوبنا، وتأتي العاطفة في قلوبنا أننا نريد أن نقبل رأسه، وهناك بعض الناس يخبروننا عن عيوبنا، فيأتي عندنا الشيق منه والغضب عليه حتى يأتي في قلوبنا عاطفة أن نخنقه، فما هو السبب ؟ قال الشيخ إنعام رحمه الله: هذا يتوقف على نية الناصح ؛ فالذي يخبرك بعيبك ويريد الإصلاح والنصح والمواساة ويتكلم بحسن الظن معك فيأتي حبه عندك، والذي يتكلم معك بسوء الظن ولا يريد النصح أو الإصلاح ، إنما يريد الإحراج والمذلة فيأتي بغضه في قلبك .

فذلك إذا رأينا شيئاً من الأحباب لا يأتي سوء الظن في قلوبنا ، وإنما يكون في قلوبنا حسن الظن مع جميع المسلمين، حتى إذا رأيناه على الخطأ فنحن نعفو عنهم ونستغفر الله سبحانه وتعالى على هذا الخطأ، لا نتركهم ولا نطردهم وإنما دائماً نتشاور معهم ونحترم آراءهم، نحن نحترم آراءهم ونحن نشاركهم في المشورة ، وبهذا تقام الاجتماعية بين الأحباب، بهذا اللين وهذا العفو، بهذا الاستغفار وبهذه المشاركة بين

الأحباب، الله سبحانه وتعالى يقيم الاجتماعية بين الأحباب، والله سبحانه وتعالى يقيم حسن المعاشرة بين الأحباب، وهذا العمل ؛ حسن المعاشرة واجتماعية القلوب سبب قوى لجلب نصرة الله سبحانه وتعالى .

ويقول الشيخ سعيد أحمد: ماذا نعمل ؟ قال: باللين نتعامل معهم ونعفو عنهم إذا أخطئوا معنا أو في العمل، وبعد ذلك ليس العفو فقط ، وإنما نستغفر لهم الله سبحانه وتعالى، لأن بعض الناس الذين نري في حياتهم أي خطأ ، ولكن إذا نحن نصحناهم فهم يتأثرون منا ، وإذا نحن أردنا أن نصلحهم فهم لا يقبلون منا ، فماذا نعمل ؟ نحن لا نقول لهم شيئاً ولكن ندعو لهم، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلحهم بحسن الظن وليس بسوء الظن لأننا رأينا خطأه، ولكننا نحن الآن ندري هل هو قائم على الخطأ أم أنصلح على الله سبحانه وتعالى ؟ لأن الإنسان مهما يكون في خطئه ، ولكن هذا الإنسان إقام قام في الليل في جنح الظلام ، ووقف أمام الله سبحانه وتعالى وقال: اللهم اغفر لي ، ويصلح معاملته مع الله تعالى ، الله يعفو عنه، ولكن لو أنا تعاملت معه مع سوء الظن فهذا خطر علىً ، فلذلك إذا نحن رأينا من الأحباب بعض الشيء ، فإذا قلنا نقول بالمحبة .

فإذا كانت الاجتماعية ، حتى لو كان العمل في الظاهر قليلاً أو ضعيفاً ، ولكن هذا العمل يكون مؤيداً من الله سبحانه وتعالى ، وإذا لا تكون الاجتماعية يكون التشتت بين الأحباب ، حتى لو كان العمل في الظاهر واسعاً ومنتشراً ، ولكن لا يكون

مؤيداً من الله سبحانه وتعالى ، ولذلك مرة الشيخ إنعام الحسن رحمه الله جمع بعض الأحباب وأراد أن يتكلم ولكنه ما استطاع أن يتكلم وبدأ يبكي ، وبعد ذلك قال : ما أحد منا يدعي أنه ليس فيه خطأ كلنا أخطاء ، ولكن لو تكون قلوبنا متآلفة ومتحابة ، ويكون فيها المواساة والنصح لجميع الأحباب ولجميع المسلمين ، الله سبحانه وتعالى ، يعفو عن عيوبنا ويستر أخطاءنا، ويستخدمنا لدينه مع هذا الضعف، لأنه ليس هناك أحد معصوماً إلا الأنبياء فهم معصومون، والصحابة محفوظون ، وإنما بعد ذلك كل الناس خطاءون، لكن إذا لا تكون قلوبنا مجتمعة، ولا يكون في قلوبنا المواساة للآخرين ولا يكون النصح للآخرين ، وهذه هي صفة النبوة ، فإن جميع الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – يقولون : ﴿ وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[1] ، فصفة النصح هيه هي صفة النبوة ، صفة الأمانة ، ومعني صفة الأمانة أن الإنسان يعرف استعداد الأحباب ويستعملهم بحسب استعدادهم وصلاحيتهم (وهذا ليس موجوداً الآن بسبب الحسد) ، هذه هي صفة الأمانة التي كانت عند الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فإذا ما تكون المواساة والنصح في القلب ، فحتى إذا اجتهدنا الجهد المطلوب وضحينا التضحية المطلوبة ، وبالنهج الصحيح ولكن لا يكون له النتيجة.

الله أرسل الأنبياء لإحياء الحق ، وأعطاهم أسلوب البشارة والإنذار ، فكل الأنبياء جاءوا مبشرين ومنذرين ، ومع كل هذا كل نبي قال قومه : ﴿ وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ

(١) سورة الأعراف _ الآية ٦٨ .

﴾[١] فلأجل عاطفة نصحهم وصدق شفقتهم على الأمة، ورحمته بهم، فكلامهم كان يدخل في قلوب الناس إلا من كتب الله عليهم الضلال في الذكر الأول .

لذلك نحن نكلف أنفسنا ولكن نرغب الآخرين بالمحبة والشفقة والنصح ، والله يوصل الكلام لقلوب الناس ، لقوله تعالى : ﴿ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] .

لذلك الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٣].

فنحن نعرف من هو النبي ﷺ ؟ فهو محبوب الصحابة بعد الله ، ونعرف من هم الصحابة رضي الله عنهم ؟ فهؤلاء دارت حياتهم على طاعة الله ورسوله ، واضعين أنفسهم حيث يشاء النبي ﷺ ورغم هذا يأمره باللين ، لأن الشدة عواقبها وخيمة، واللين الله يجمع به القلوب، ومع اللين لا بد من العفو، لأن العمل يأتي فيه جميع الناس الذين ما تربوا، ما يأتي في هذا العمل الأتقياء والأولياء ، بل يأتي فيه الجديد صاحب

---

(١) سورة الأعراف ــ الآية ٦٨ .

(٢) سورة النساء ــ الآية ٨٤ .

(٣) سورة آل عمران ــ الآية ١٥٩.

المعصية، لذلك كان الشيخ يوسف يقول: هذا العمل مل المغسلة، ويأتي فيه الذين ما تربوا ، وندر عندهم الأدب والاحترام ، وليس عندهم ثقافة ولا تحضر، وإنما يأتون من الخمارات ومن النوادي، وبعضهم من البادية أو الأعراب، فهم يأتون وهم يخطئون، وعند خطئهم معنا كيف تكون معاملتنا معهم ؟ إذا عاملناهم بالمؤاخذة والحساب والعقاب فهم يفرون منا ويرجعون لبيئاتهم، ولكن نعاملهم كما أمر الله نبيه أن يعاملهم فقال تعالى لرسوله : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[1] .

لذلك الشيخ سعيد أحمد رحمه الله كان يقول: من يمشي في هذا السبيل بصفة العفو والمسامحة، دائماً يطلب العفو ودائماً يعفو، فهذا الإنسان يستقيم في هذا العمل حتى الموت.

وقال أيضاً: الذي يرتبط مع جميع الناس ويربط الجميع ، فلا يقول أنا صاحب حيثية أكون مع الوجهاء أو الأغنياء مثلاً ، بل يرتبط مع الجميع فهو يمشي فى هذا العمل ويثبت عليه حتى الموت.

كذلك أحبابنا الكرام الأمة الآن في البلاء والمحن والأحوال، وكل منهم يحتاج إلى اللين والعفو والمسامحة، وعملنا هذا لنوجه المسلمين إلى الله لتتوجه رحمة الله إليهم، لذلك كان الشيخ سعيد أحمد رحمه الله يقول: ما عمل جماعة المسجد ؟ عملها تقيم

---

(١) سورة آل عمران ــ الآية ١٥٩.

المحبة بين الناس حتى أن أي واحد يذهب إليه جماعة المسجد، فيري أن جماعة المسجد هذه أكثر مواساة ومحبة إليه من أهله وإخوانه.

مرة كان يتكلم الشيخ إبراهيم كجرات مع القدماء فقال: العنب هذا رزق حلال ، ولكن إذا تغير ترتيب معاملته فيتهيأ منه الخمر ، فهكذا هذا العمل عمل عظيم ، والإنسان لا يدري على أي مقامات الهداية يموت ، ومع ذلك إذا هذا العمل ما يراعي فيه صفات القبول، وما يراعي فيه الترتيب الصحيح، قد يأتي في قلب الإنسان بالغرور والكبر، وبهذا يأتي التفرق في الأمة.

فهذا العمل يمشي بالعاطفة الصادقة من القلب ، لذلك عندما يكون من القلب النصح للأحباب والشكر على ما يقدمون ، والعذب لهم والدعاء لهم ، فهذا مع الجهد القليل يقبل إن شاء الله ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ للنبي ﷺ:« اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ. قَالَ: (لاَ). فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمَئُونَةَ وَنُشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ. قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا))[1]

فجاء المهاجرون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في

(١)صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب إذا قال اكفني مؤونة النخل وتشركني وغيره وتشركني في الثمرة. الثمرة.

المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال ﷺ : لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتهم الله لهم[١].

لذلك علينا الشكر والتقدير للأحباب الذين يعملون ولو قليلاً، نشكر سعيهم، ونشكر سعي كل القائمين على أية شعبة من شعب الدين على مستوي العالم ، فيكون الثناء والشكر لهم ، والدعاء لهم وعذرهم ، لا يكون عندنا شيء في صدورنا لهم حتى مع من يخالفنا، فنحن دائماً معهم بالإكرام والاحترام والمحبة ، مع الدعاء لهم من القلب.

فالشيخ سعيد رحمه الله عندما ذهب بالمشورة إلى الحجاز في المدينة، وكان في المدينة عالم لا يحب الدعوة ، فذهب الشيخ سعيد لزيارته ، وبدأ العالم يتكلم على الدعوة والشيخ سعيد جالس لما انتهي سلم عليه الشيخ سعيد وطلب منه الدعاء وانصرف، بعد أسبوعين ذهب مرة أخري الشيخ سعيد لزيارته، فالرجل تكلم واعترض ولكن أقل مما سبق، فالشيخ سعيد ساكت ثم لما انتهي من كلامه الشيخ سعيد سلم عليه وطلب الدعاء منه وانصرف، ثم بعد فترة ذهب الشيخ سعيد مرة ثالثة لزيارته، فالرجل أظهر بعض الاعتراضات على استحياء وهكذا، بعد أربع أو خمس زيارات والشيخ يذهب

(١)أخرجه الإمام أحمد فى مسنده صحيح (٣/٢٠٠ ، ٢٠١) وأبو داود ، والترمذي والحاكم وأن أبي شيبة.

إليه، فبدأ يستقبل الشيخ بالاحترام والإكرام والمحبة، حتى وصل الأمر إذا غاب الشيخ سعيد عنه شهراً يبعث إليه لمن يأتي به ليزوره فصارت محبة كبيرة .

فكيف الأمة تجتمع لو كان هناك الجدال والخصام والخلاف، بل لابد من المحبة والألفة والصفح والعفو مع الدعاء والنصح من القلب، فمن قبل في زمن الشيخ إلياس كتبت جريدة تذم الدعوة وتقول عليهم بأشياء كاذبة ، فجاء أهل دلهي إلى الشيخ إلياس وقالوا له: ائذن لنا أن نقيم قضية على هذه الجريدة فقال لهم: لا تعملوا أي قضية بل اسكتوا، فبعد يومين قدمت الصحيفة اعتذاراً وكذبت نفسها ومن كتب قال: الذي كتبته ليس صحيحاً إنما هم فيهم كذا وكذا.

لذلك أي مخالف أنت تقول له: يا شيخ ! فقط أنت تذهب معنا تفهم هذا العمل، لأن عملنا هذا ليس بالكلام بل هو بالعمل.

لذلك أحبابنا الكرام كيف كل الأمة تجتمع وتأتي في هذا السبيل، شارب الخمر كيف نخدمه وننصحه من قلوبنا وندعو له ونجتهد عليه حتى يأتي إلى بيت الله ؟ كذلك لاعب الميسر أو أي شخص يرتكب المنكرات كيف تجتهد عليه بالإكرام والدعاء والنصح ؟ فنحن لا نكره العاصي لكن نكره معصيته.

ونحن لما ندعو للمخالفين لنا ، أو القائمين على أي شعبة من شعب الدين في أي مكان أو أصحاب المعاصي وغيرهم فالله يعطينا الأجر والثواب لكل خير يوفقون إليه، فذلك مطلوب في هذا العمل الاجتماعية، وسببها في اللين والعفو والاستغفار والمشورة

، والصفات التي تشتت الأمة في الكبر والحسد والعجب ، ولابد أن يكون في قلوبنا المحبة للجميع لأنه ليس بيننا خلاف وحرب إلا مع الشيطان فقط .

كذلك إذا أردنا أن نكون بيئة البيت، فهناك أمران: اللين والتعليم ، فنقيم حلقة التعليم في البيت باللين والرحمة والشفقة، ونحتاج إلى الصبر والتحمل، فتصبر شهراً أو شهرين أو ثلاثة أشهر أو أكثر، ولكن بعد ذلك تتكون بيئة البيت، وكل من يدخل إلى البيت يشعر فيه بأعمال الإيمان وأنوار النبوة، ولكن إذا عملنا هذا بالشدة ما يقوم العمل في البيت، بل يتعطل عند الرجل عمل الدعوة حتى في الثلاثة أيام ، كذلك البيت يخرب ، فالزوجة والأولاد في ناحية والرجل في أخري، وإذا كبر الأولاد تقول المرأة لهم أبوكم مجنون، دعوه في المسجد، فهذا الرجل ضيعكم وضيع حقوقكم، مع أنه حفظهم من الفتن، ولكن لأن تصورهم أن المال لهم وليس للدين، لكن مع اللين، المال والأهل للدين .

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

(١)سورة الصف ــ الآيتان ١١ ، ١٢ .

الله سبحانه وتعالى سمي هذا العمل بالتجارة ، لأن هذا العمل يقوم بمزاج التجارة ، وأول شيء في مزاج التجارة هو اللين ، وهذه الدعوة لا تمشي ولا تتحرك ولو واحد في المائة غلظة أو شدة مع الأحباب ، ولا مع عامة الناس، ولا مع الأهل والأولاد ، فإذا وجدت الشدة فنتيجته أن ينفض الناس عن أهل الدعوة .

وعندما تقام هذه الدعوة على مستوي العالم، فالله سبحانه وتعالى بحسب الضرورة، وبحسب الحكمة، وبحسب المصلحة التي في علمه سبحانه وتعالى، فهو يأتي بجميع الناس ومن جميع طبقات الأمة، ويجمعهم على هذا العمل، وعندما يأتي هؤلاء الناس فيمكنهم أن يكونوا أكثر منا استعداداً ، وأكثر منا تضحية، وأكثر منا صلاحية ويعملون هذا العمل أحس منا وأجود منا، وعندما هم يضحون ويجتهدون ويكون عندهم الاستعداد أكثر منا ، فيمكن للناس أن يجتمعوا حولهم .

في هذا الوقت الناس تسأل أين فلان وأين فلان ؟ فيسألون عن الجديد، وهم متأثرون به، فلا يأتي في قلب القديم والذين اجتهدوا من سنين فيقولون: من هذا الذي أتي بالأمس والناس تسأل عنه ؟ وينظرون لإكرام الناس له، ويقولون : أين هو من ذلك، وليس له الفضل ؟ لأنه لو جاء شيء من هذا في قلوبنا فيكون سبباً للتردي والطرد من هذا العمل .

فيجب أن تكون قلوبنا منشرحة لكل قديم وجديد، ويكون في قلوبنا الوسع لكل الناس ، وندعو لهم من قلوبنا أن يريدهم الله كرامة وشرفا وعزة ، ونكون في الوسع مثل

البحر مثل الصحابة الكرام، كان عندهم سعة الصدر ، أنهم يجمعون العصاة ويجتمعون مع جميع الطبقات من الأمة، ولا يأتي في بالهم شيء، وإنما إذا يرون احترام الناس فيزيد فى قلوبهم حبهم، ويزيد في قلوبهم الشفقة والمحبة لهم .

السبب السابع من أسباب الاستقامة :العمومية :

مزاج هذا العمل العمومية ، ومقصوده العموم وليس الخصوص ، ويكون الجهد على العوام وكذلك على الخواص فنزورهم ونأتي بهم من هذه الخصوصية إلي العمومية ، فينضمون لعوام الناس ويجتهدون لدين الله مثلما يجتهد له عوام المسلمين .

أهل الدين من الأفكار الأخرى جهودهم لإنشاء الخصوصية من القرية إلى البرلمان، جميع الجهود تتركز في إنشاء الخصوص في بعض الناس من العوام لمصلحتهم ، حتى إذا تحصلوا على هذا الخصوص وصار واحد مسئولا ، ينتهي الجهد في القرية ، وبعد أن كانوا يتجولون على كل بيت وعلى كل شخص ويجاملونه، انتهى الجهد منهم وصار هذا الشخص في نظرهم وفي نظر صاحب حيثية ويصبح في برجه العالي .

فمقصود هذا العمل أن الإنسان يمشي في هذا العمل حتى لا يستطيع أحد أن يعرف أن هذا الأمير وهذا المأمور، كما كانت العمومية عند النبي ﷺ وصحابته – رضي الله عنهم ، فالنبي ﷺ عند الهجرة مع أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – عندما أتي في قباء كان الناس يأتون ويسلمون علي سيدنا أبي بكر، وعندما أشتد الحر أظل على النبي ﷺ بردائه، هنا عرف الناس أن هذا المخدوم وهذا الخادم ، هذا النبي ﷺ وهذا

صاحبه، كذلك النبي ﷺ يجلس بين صحابته وإذا جاء أحد من الخارج فكان يسأل أيكم ابن عبد المطلب ؟ وكذلك كان النبي ﷺ في الغزوات ولم يخص نفسه بشئ ، دون صحابته ، بل هذا عليه ذبح الشاه وهذا سلخها وقال النبي ﷺ : " وأنا علي جمع الحطب " .

أحبابنا الكرام ! هناك أعمال عمومية وأعمال خصوصية ، فالجولة عمل عمومي، واستماع البيان عمل عمومي، والخروج مع جماعة المسجد هذا عمل عمومي، لكن المشورة عمل خصوصي، والبيان عمل خصوصي، والزيارة عمل خصوصي، فالإنسان عندما يمشي في هذه الأعمال بالمشورة والطاعة، الله عز وجل يرزقه يومياً الترقي والاستقامة، لكن إذا عود الإنسان نفسه على الأعمال الخصوصية، فممكن في يوم من الأيام يأتي في قلبه جرثومة العجب، أنا أقوم بالأعمال الخصوصية، فيقوم بها بحسب رأيه دون مشورة ، وهذا العجب خطير أعاذنا الله وإياكم منه .

لذلك لابد ألا يري الداعي لنفسه أي خصوصية فوق الأحباب ، ولا يري أن حيثيته فوق الناس، ولا امتياز لنفسه، لأن هذا العمل ليس لتكوين الشخصية، وإنما هذا العمل لفناء الشخصية، فالذي يُفني نفسه الله يحييه ويحيي به الكثير وينبت به الخير الكثير في الناس، ويهدي به مئات بل ملايين ، مثل الحبة التي تقدم نفسها للفناء تحت الأرض، الله يحييها ويُحيي بها مئات بل ألوفا من الثمار والفاكهة والحبوب .

لذلك الذي يأتي في هذا السبيل ليفني نفسه الله يحييه ويحيي به الكثير ، ويقيم به الدين في الناس ، فنري في كثير من البلدان رجلاً واحداً قام بالهم والحرقة والحزن والشفقة ، وما قام لعزة نفسه ، بل قام بالتواضع والانكسار ، يتذلل لعباد الله ويمشي بينهم هوناً ، حتى أقام الله به هذه الدولة حتى وصل للخير الذي نراه الآن .

لذلك المشايخ يقولون: لابد ألا يجعل الأمير لنفسه شخصية شديدة تجعل لنفسه حيثية بها الناس ما تستفيد منه ولا يسألوه ، فليس الخير فى هذا الأمير ، كذلك الأحباب المأمورون لو يجعلون هيأتهم حتى يرهبهم الأمير فليس فيهم خير ، إنما يكون الارتباط بين الأمير وباقي الجماعة بحيث يستفيد الكل من الأمير والعكس ، لأن كل الأحباب على اختلافهم فيهم صفات النبي ﷺ موزعة بحيث يستفيد الكل من صفات بعضهم البعض .

السبب الثامن من أسباب الاستقامة : البساطة :

عندما قامت هذه الدعوة ، قامت على أبسط الناس ، حتى الله سبحانه وتعالى يُفهم البشرية قدرته ، فلذلك عند بعثة النبي ﷺ الله سبحانه وتعالى أقام هذه الدعوة على أبسط الناس في العرب ، مع أن في ذلك الوقت كسري وقيصر والمقوقس كان عندهم المادة ، وكان عندهم القوات، وكان عندهم العسكر، ولكن الله سبحانه وتعالى ما أقام الدعوة بهؤلاء، وإنما أقامها بالعرب الذين كانوا أبسط الناس من ناحية الدنيا ، لكن كانوا أحسن الناس من ناحية صفاتهم الداخلية، واستعادتهم الداخلية التي كانت

تستخدم في غير مصرفها، ولكن هذا الاستعداد الداخلي كان عند هؤلاء الرجال، فالله سبحانه وتعالى انتخبهم لصحبة النبي ﷺ ، ليس عندهم المال، ليس عندهم الملك، وليس عندهم الثقافة ، وليس عندهم الحضارة ، والله أقام هذه الدعوة بهؤلاء ، ومنهم خباب وخبيب وبلال وعمار وياسر – رضي الله عنهم – ، هؤلاء الذين كانوا أبسط الناس، الله أقام الدعوة بهم .

عندما تقوم الدعوة وتنتشر ، الله سبحانه وتعالى يجمع على هذه الدعوة من أقطار العالم ، جميع الناس الذين يملكون الاستعدادات والصلاحيات التى نتصورها ونتخيلها ، فلذلك عند فتح مكة الله سبحانه وتعالى أتي بجميع الوجهاء ، وجميع الزعماء ، الله أتي بهم ؛ عكرمة بن أبي جهل ، وأبو سفيان ، وحويطب بن عبد العزى ، وعمرو بن العاص ، وسهيل بن عمرو ، وخالد بن الوليد ، وهؤلاء كلهم الذين كانوا رؤساء ، وكان عندهم الاستعدادات والصلاحيات ، الله سبحانه وتعالى أتي بهم وجمعهم على هذا العمل ، حتى استعملوا بمقتضي هذه الدعوة ، ولنشر هذا الدين على مستوي العالم .

وهكذا الله سبحانه وتعالى في هذا الزمن كذلك أقام هذه الدعوة على أبسط الناس، هؤلاء أهل ميوات الذين كانوا ميدان جهد الشيخ إلياس رحمه الله ، هؤلاء كانوا أبسط الناس على وجه الأرض ، هؤلاء أهل ميوات ما كان عندهم المال ، وما كان عندهم العلم ، وما كان عندهم أية ثقافة ولا حضارة ولا أي شيء ، وإنما كانوا أبسط الناس ، ليس عندهم طعام ، كانوا يخرجون بالحمص وقصب السكر، يأكلون الحمص

وقصب السكر ويشربون عليه الماء ، ولم يكن في الجماعة من يستطيع أن يبين مثل تلك البيانات ، فكان الشيخ محمد إلياس يقول لهم : أنتم تذهبون إلى هذه القرية ، وهناك تزورون الأئمة، وبالمحبة والاحترام تطلبون منهم أن يقرءوا لكم من ذلك الكتاب ، وأنتم تسمعون منهم بالتوجه .. بهذه البساطة الله سبحانه وتعالى بدأ هذه الدعوة حتى انتشرت على مستوي العالم .

عملنا هذا عمل عظيم في ذاته وكبير في ذاته ، ولكن هيئته الظاهرية فيها البساطة ، البيان بالبساطة ليس فيه تكلف ولا الشرح الكبير ولا الفلسفة، ولكن بيان بسيط حول الصفات الستة، كذلك الجولة فيها البساطة، والخروج فيه البساطة، والأعمال المقامية فيها البساطة، فحفظ هذا العمل في بساطته، أن تخرج الجماعات وفيها المثقفون وغير المثقفين ، وفيها الشباب والشياب وعامة المسلمين وخواصهم، ومع ذلك لا يعرف أحد كيف يفرق بينهم ؟ ويعرف أن هذا من خواص الناس وهذا من عوامهم ، بل الكل هيئتهم سواء ، فالملابس والحقائب والفرش بالبساطة ، وخروجهم وركوبهم وطعامهم بالبساطة، وكذا في جولاتهم وبياناتهم حتى يظل هذا العمل على بساطته، فلا نأتي في هذا العمل من عندنا بشيء زائد استحساناً فيه ، ولا نأتي بالجديد متأثرين بأسباب الحضارة ، لأننا لو جئنا بترتيبات جديدة وأشياء حديثة ، فهذا العمل يصبح في أنظار الجميع وله حيثية ، فينظر الناس إليه ، فإذا نظروا له واهتموا لشأنه مثل سفينة الخضر ، فحفظها ونجاتها في بساطتها وفى خرقه لها وليس في تحسينه لها ولا في إصلاحها ، إنما في بساطتها وفي خرقها .

فلا نأتي بأي جديد، ولا نستحسن أي جديد ، إنما هذا العمل جميع وجهته واضحة ومؤيدة من عند الله ، لذلك بعض علماء دلهي جاءوا إلى نظام الدين وقابلوا الشيخ يوسف ومعه الشيخ إنعام الحسن، وقالوا للشيخ يوسف: عندنا عرض لكم، وهو أن عمل الدعوة هذا لو نزيد فيه بعض الأشياء، ونزيد في الصفات صفتين يكون جميلاً فقال الشيخ إنعام : إن الشيخ إلياس أوصانا فقال: هذا العمل كما هو محفوظ من الله إن شاء الله ، لا نستحسن فيه ، ولا نزيد عليه ، ولا نرتب فيه جديد ، فيكون حفظه إن شاء الله .

الشيخ عمر بالمبوري يقول : لو جاء فليسوف وقال: نحن نأكل الفاكهة والحبوب فلماذا نضع الحبوب في التراب ونسقيها ماء المجاري والماء الذي يجري فيه العلائق ، لابد أن نضعها فى الحرير ونسقيها بالعطر ، فلو فعلنا لخربت الحبة، ولكن هكذا ترتيب الله لإطعامنا ، كذلك للهداية ترتيب بالجهد والمشقة والانتقال وتقليد النبي وصحابته ، مع صفات الإيمان فهذا فيه الهداية .

مرة الشيخ سعيد أحمد رحمه الله عين أحد الأحباب للبيان في المدينة المنورة ، فقال ذلك الأخ : أنا لا أستطيع أن أبين ، فقال الشيخ سعيد أحمد ، يا فلان ! ماذا بياننا ؟ ثم قال : بياننا بكاء امرأة ثكلي مات ولدها ، فهل تقول أنا لا أعرف البكاء أو الصراخ ، فبياننا ليس فيه البلاغة العالية ولا الفلسفة ، ولكن نحن نبكي على الدين ونبكي على

الأمة وما وصلت إليه من عصيان ، وكيف هذه الأمة ترجع لدين الله ؟ وكيف يحيي الله دينه ؟) .

فالبيان بالبساطة ، وكذا البساطة في الزيارات، والبساطة في الخدمة والفراش .

السبب التاسع من أسباب الاستقامة : زيادة التضحية في الدعوة والدعاء :

كل من يعمل في هذا العمل المطلوب منه ازدياد التضحية يومياً ، فلا ينبغي أن يبقي على مستوي واحد ، مثل الطفل في الصف الأول ثم الثاني ثم الثالث وهكذا ، ولا نرضي أن يبقي في الصف الأول ، كذلك لابد ألا يبقي على مستوي واحد، إنما نزيد تضحياتنا وجهدنا ، بذلاً لأموالنا وأنفسنا ، ليس حسب هوانا بل حسب المشورة وبالطاعة ، فلا نعمل أي عمل إلا بطاعة أولي الأمر بيننا ، فنطيع الشورى ونطيع الأمير ، لأن الهداية والتربية والثبات والاستقامة بقدر الطاعة.

فقد كان من أكثر صفات الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – الطاعة والصدق، أطاعوا الله ورسوله ﷺ، وصدقوا مع الله ورسوله ﷺ، فاستخدمهم الله لحمل أمانة دينه ، لذلك علينا أن نزيد يومياً فى التضحية ليس بالحماس ولا بالكسل ، لأن الحماس يتعب الإنسان ، والكسل يؤخر الإنسان ، وإنما نسير بالاعتدال بينهما " عليكم بالقصد فإن القصد أبلغ " فالإنسان يعمل بقدر ما يستطيع والباقي على الله ، فبقدر الطاعة وبقدر الصدق الله يرقيه في هذا العمل ، مع بذل النفس والمال .

كذلك في هذا الجهد لا يكون فقط جهد النهار ، جولات وزيارات ، وإنما مع جهد النهار جهد الليل الدعاء والإنابة ، وبقدر ما نمشي فى هذا العمل ويزيد عندنا الدعاء مع الله ، يزيدنا الله إنابة إليه ، ورسول الله ﷺ مع كل التعب الذي كان فيه بالنهار ، إلا أن الليل معظمه بين يدي الله حسبما أمره جل جلاله : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾[١]. وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[٢]. وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾[٣].

فرسول الله ﷺ مع هذه الدعوة ، يزيد في دعائه وركوعه وسجده وقيامه أمام الله ، فنتحرك في هذا العمل فيزيد عندنا الشوق لذكر الله ، ويزيد الشوق للعبادة ، ويزيد الدعاء والإنابة لله تعالي ، لأن الصحابة الذين هم أكثر تضحية وبذلاً للمال والنفس ، كانوا أكثر إنابة إلى الله تعالي وخشية منه سبحانه ، وكيف كان حال أبي بكر وحال عمر وحال باقي الصحابة ؟ ذهبوا من الدنيا وهم يبكون أنهم ما أدوا حق الله وحق رسوله وحق دينه .

ورسول الله ﷺ كان أكثر جهداً وتضحية ، وهو أكثر الخلق خشية وإنابة ، وبعده أبو بكر الصديق – رضي الله عنه . فهو أكثر تضحية وكذا أكثر خشية وإنابة ، وبعده

---

(١) سورة الانشراح ــ الآيتان ٧ .

(٢) سورة الجن ــ الآية ٨.

(٣) سورة الإنسان ــ الآية ٣٦ .

عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – انظر إلى حاله: عَنِ الضحاك ، قَالَ : قَالَ عمر : لَيْتَنِي كُنْتُ كَبْشَ أَهْلِي يُسَمِّنُونِي مَا بَدَا لَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ أَسْمَنَ مَا أَكُونُ ، زَارَهُمْ بَعْضُ مَنْ يُحِبُّونَ فَجَعَلُوا بَعْضِي شِوَاءً ، وَبَعْضِي قَدِيدًا ، ثُمَّ أَكَلُونِي فَأَخْرَجُونِي عُذْرَةً ، وَلَمْ أَكُ بَشَرًا [١].

وعَنْ عاصم بن عبيد الله ، قَالَ : سَمِعْتُ سالما يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : كَانَ رَأْسُ عمر عَلَى فَخِذِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقَالَ لِي : ضَعْ رَأْسِي عَلَى الْأَرْضِ قَالَ : فَقُلْتُ : وَمَا عَلَيْكَ كَانَ عَلَى فَخِذِي أَمْ عَلَى الْأَرْضِ ؟ قَالَ : ضَعْهُ عَلَى الْأَرْضِ ، قَالَ : فَوَضَعْتُهُ عَلَى الْأَرْضِ فَقَالَ : وَيْلِي وَوَيْلُ أُمِّي إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي [٢].

وعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عَنِ المسور بن مخرمة ، قَالَ : لَمَّا طُعِنَ عمر قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَرَاهُ[٣].

وقال الْأَوْزَاعِيُّ ، حَدَّثَنِي سماك ، قَالَ : سَمِعْتُ عبد الله بن عباس يَقُولُ : لَمَّا طُعِنَ عمر دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ مَصَّرَ بِكَ الْأَمْصَارَ ، وَدَفَعَ بِكَ النِّفَاقَ ، وَأَفْشَى بِكَ الرِّزْقَ ، قَالَ : أَفِي الْإِمَارَةِ تُثْنِي عَلَيَّ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟

---

(١)حلية الأولياء لأبي نعيم .

(٢)المرجع السابق .

(٣)المرجع السابق .

فَقُلْتُ : وَفِي غَيْرِهَا ، قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ فِيهَا ، لَا أَجْرَ وَلَا وِزْرَ[١].

لذلك الله وصف رسوله وصحابته فى قرآنه فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٢].

فإذا كان عمل الدعوة والتضحية والبذل ولا يكون الدعاء في الليل والإنابة إلى الله ، فهنا الداعي قد ينظر إلى نفسه فيعجبه فالله يحولنا إلى أنفسنا ، لذلك يكون نظرنا على الله ، أي يأتي عندنا مقام المراقبة ، لأن الله سبحانه أعطي لجميع الأنبياء عمل الدعوة وقوة الدعاء ، ومعني الدعاء الله يخبرنا أنكم إذا احتجتم لشيء لا تتوجهوا إلى أي مخلوق ، وإنما تتوجهوا إلينا نسمع منكم وتسيرون تحت أعيننا .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة االفتح ــ الآية ٢٩ .

الآذان ليس للآذان ولكن للصلاة ، كذلك الدعوة ليست للدعوة ولكن لإحياء العبادة، والله سبحانه أمر رسوله ﷺ بعد كل هذه التضحية بالاستغفار فقال : ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[١].

والأنبياء طلبوا من أقوامهم الاستغفار : ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾[٢].

، وقوله " ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[٣]. ، والنبي ﷺ كانوا يعدون له في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة .

لذلك نزيد في الاستغفار والدعاء والتضرع والإنابة ، لأن الإنابة إلى الله والاستغاثة سبب قوى لجلب نصرة الله ، لأن صلاح هذه الأمة بنصرة الله ، ونصرة الله موقوفة على الاستغاثة والإنابة والتضرع والدعاء ، فيقول الشيخ إلياس رحمه الله : (عندما يقوم هذا العمل بالترتيب الصحيح ، وبالنهج الصحيح ، وبالنية الصحيحة ، يهيئ الله سبحانه وتعالى المجموعة التي يعتد بها أمام الله ، الذين يكونون متصفين بالصفات

---

(١) سورة النصر.

(٢)سورة هود ــ الآية ٥٢ .

(٣)سورة نوح ــ الآية ١٠.

الحميدة ، والصفات المحبوبة عند الله سبحانه وتعالى ، عند ذلك الله يجعل هذه المجموعة سبباً لإقامة دينه ، فالله سبحانه وتعالي يجعل هذه المجموعة سبباً ولتهب بها ريح الهداية من المشرق إلى المغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، حتى ترون في العالم الإسلام والخير الكثير العام) .

السبب العاشر من أسباب الاستقامة :

الانقطاع الكلي عن جميع العلائق فى الخروج :

عندما تخرج الجماعات في مناطقها أو مناطق قريبة منها لأربعين يومياً أو أربعة أشهر ، فهم لا يذهبون للبيت أو العمل ، لأن الاستفادة من هذا العمل تكون بالانقطاع الكلي من جميع العلائق ؛ من أهل وأقارب وأصحاب وعمل ، فنكون في هذا العمل مستخلصين .

فالآن الخارج مع الله ومع حياة النبي ﷺ ، فهو في الآخرة وطلب أسبابها ، وهذا لفترة قليلة ، أربعين يوماً أو أربعة أشهر ، ليثبت هذا الأمر فى قلبه ويعتاد على الانقطاع والتبتل والتفرغ لله على منهاج نبيه في طلب الآخرة ، لكن من يذهب لبيته أو عمله ممكن يتحصل الثواب ولكن لا يستفيد الاستفادة التامة .

لذلك جميع الجماعات التي تخرج في سبيل الله نحن نفهمهم هذا بالترغيب، نفهمهم أن الانقطاع الكلي عن تلك العلائق التي تشغل القلب يكون فيه الاستفادة كاملة، وأن الاتصال بهذه العلائق وهذه الأشغال كيف بها يحدث النقصان ؟ ونفهمهم هذا بالمحبة

واللين ، كذلك حتى لا يمشوا بالأسباب التي يكون فيها الاتصال مع الأهل والأحباب ، بل الانقطاع في الدعوة .

السبب الحادي عشر من أسباب الاستقامة : الصبر والتحمل :

كذلك أحبابنا الكرام هذا العمل يحتاج إلى الصبر والتحمل ، هذا العمل مزاجه البر والتحمل ، لأن هذا العمل هو عمل الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وإنما أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، فالإنسان إذا يتحرك في سبيل هذه الدعوة فيمكن يأتي هناك بعض الأحوال لتربية هذا الإنسان ؛ لأجل حكمة الله سبحانه وتعالي يعلمها ، فإذا أتي أية حال من الأحوال ففي ذلك الوقت يجب أن يكون عند الإنسان الصبر والتحمل ، والصبر على الأحباب ، كذلك لو أتي أي شيء من الأحباب نصبر عليه ونتحمل ، كيف إذا نحن خرجنا في الجولة وزرنا واحداً من الذين يشربون الخمر ، وعندما تكلمنا معه فهو صفع المتكلم ، فنحن ما نضربه رداً أمام ضربه لنا ، وإنما نحن نقول : نحن أحيينا سنة النبي ﷺ ، فكيف نحن نتحمل من شارب الخمر ؟ ولا نستطيع أن نتحمل مكن أحبابنا أو من الجماعة التى خرجنا معها ؟

الجماعة التي فيها بعض من أهل الحبشة، وبعض من أهل مصر، وبعض من أهل السعودية، كيف نحن نتحرك في هذا السبيل بالصبر والتحمل ؟

أحبابنا الكرام ! عندما تقوم هذه الدعوة وتنتشر ، فالله سبحانه وتعالي يعطي لجميع الناس الذين عندهم الاستعداد والصلاحيات ، الله سبحانه وتعالي يعطيهم

الهداية فيأتي بهم ، لأن الله سبحانه وتعالي نشر الأنصار ، أنصار الدين على مستوي العالم الآن الأنصار لدين الله سبحانه وتعالي منتشرون في أنحاء العالم في مصر ، وفى الدول العربية ، والإفريقية والأمريكية ، وفى العرب وفى العجم ، وفي جميع المناطق هناك أنصار الدين موجودين ، كما أن الله سبحانه وتعالي انتظم الأنصار قبل بعثة النبي ﷺ فكان هناك ملك تبع [1]. ، وقد خرج من مملكته لكي يحارب بعض الأقوام ، ومر

(١) قال الإمام القرطبي فى تفسير ، فى قوله تعالى : (أهم خيراً أم قوم تبع) : والظاهر من الآيات أن الله سبحانه إنما أراد واحداً بعينه ، وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم .... وقد روي عنه ﷺ أنه قال : (لا تسبوا تبعاً فإنه كان مؤمناً) .... وهو – والله أعلم – أبو كرب الذي كسا البيت بعد ما أراد غزوه ، وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها ، ثم انصرف عنها لما أخبر أنها مهاجر نبي اسمه أحمد ، وقال شعراً أودعه عند أهلها فكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر إلى أن هاجر النبي ﷺ فأدوه إليه : ويقال : كان الكتاب والشعر عند أبي أيوب خالد بن زايد وكتب كتاباً له وختم عليه ، وكان تبعاً ملك من ملوك حمير كما حكي قتادة .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره شيئاً من سيرة تبع هذا ، فقال : كانت حِمْيَر – وهم سبأ – كلما ملك فيهم رجل سموه " تُبَّعًا " ، كما يقال : كسرى : لمن ملك الفرس ، وقيصر : لمن ملك الروم ، وفرعون : لمن ملك مصر كافرا ، والنجاشي : لمن ملك الحبشة ، وغير ذلك من أعلام الأجناس .

ولكن اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن ، وسار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند ، واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه ، واتسعت مملكته وبلاده ، وكثرت رعاياه ، وهو الذي مَصَّر الحيرة ، فاتفق أنه مَرَّ بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية ، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار ، وجعلوا يَقْرُونه بالليل ، فاستحيا منهم وكف عنهم ، واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة ؛ فإنها مُهَاجَرُ نبي يكون في آخر الزمان ، فرجع عنها وأخذهما معه إلى بلاد اليمن ، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة ، فنهياه عن ذلك أيضًا ، وأخبراه بعظمة هذا البيت ،

وأنه من بناية إبراهيم الخليل ، وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان ، فعظمها وطاف بها، وكساها الملاء والوصائل والحبير ، ثم كر راجعًا إلى اليمن ، ودعا أهلها إلى التهود معه ، وكان إذ ذاك دين موسى عليه السلام ، فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه السلام ، فتهود معه عامة أهل اليمن .

وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه السيرة ، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة ، أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا ومما لم نذكر ، وذكر أنه ملك دمشق ، وأنه كان إذا استعرض الخيل صُفَّت له من دمشق إلى اليمن .

ثم ساق من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا ؟ ولا أدري تبع لعينًا كان أم لا ؟ ولا أدري ذو القرنين نبيًّا كان أم ملكا) ، وقال غيره : (أعزيرًا كان نبيًّا أم لا؟). – رواه أبو داود (٤٦٧٤)–

وكأنه – والله أعلم – كان كافرًا ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام ، وحج البيت في زمن الجُرهُميين ، وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر ، ونحر عنده ستة آلاف بدنة ، وعظمه وأكرمه . ثم عاد إلى اليمن .

وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسوطة ، عن أبي بن كعب ، وعبد الله بن سلام ، وعبد الله بن عباس ، وكعب الأحبار ، وإليه المرجع في ذلك كله، وإلى عبد الله بن سلام أيضًا ، وهو أثبت وأكبر وأعلم .

وكذا روى قصته وهب بن مُنَبِّه ، ومحمد بن إسحاق في السيرة ، كما هو مشهور فيها .

وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة " تُبَّع " هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل ، فإن " تُبَّعًا " هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه ، ثم لما مات عادوا بعده إلى عبادة الأصنام والنيران ، فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبأ .

بالمدينة وكان معه أربعمائة عالم ، وعندما أتوا في المدينة قالوا : نحن نري في هذا المكان

وقال سعيد بن جبير: كسا " تُبَّعٌ " الكعبة ، وكان سعيد ينهى عن سبه .

و " تُبَّع " هذا هو تُبَّع الأوسط ، واسمه أسعد أبو كُرَيْب بن مَلْكيكرب اليماني ، ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستا وعشرين سنة ، ولم يكن في حمير أطول مدة منه ، وتوفي قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من سبعمائة عام ، وذكروا أنه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة أن هذه البلدة مُهَاجَرُ نبي في الزمان اسمه أحمد قال في ذلك شعرا واستودعه عند أهل المدينة ، وكانوا يتوارثونه ويروونه خلفًا عن سلف ، وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره ، وهو :

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّه ... رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَاري النَّسَم ...

فَلَو مُدَّ عُمْري إلى عُمْرِهِ ... لَكُنْت وَزيرا له وابن عَم ...

وَجَاهَدْتُ بالسَّيفِ أَعْدَاءَهُ ... وَفرَّجتُ عَنْ صَدْرِهِ كُلَّ غَم ...

وذكر ابن أبي الدنيا أنه حُفِر قبر بصنعاء في الإسلام ، فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين ، وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب : " هذا قبر حبي وليس – وروي : حبي وتماضر- ابنتي " تُبَّع " ، ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئًا ، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما .

قال قتادة : ذكر لنا أن كعبًا كان يقول في " تُبَّع " : نُعِت نَعْت الرجل الصالح ، ذم الله تعالى قومه ولم يذمه ، قال : وكانت عائشة تقول : لا تسبوا " تُبَّعًا " ؛ فإنه قد كان رجلا صالحًا " انتهى باختصار . " تفسير القرآن العظيم

علامة هجرة نبي أخر الزمان المذكور في الكتب السماوية ، فنحن لا نريد أن نبرح هذا المكان ، فنحن نبقي هنا ، وهذا الملك كان صالحاً ، فبني أربعمائة بيت لهؤلاء العلماء الأربعمائة في المدينة المنورة وأجلس كل عالم في بيت من هذه البيوت ، وبني بيتاً للنبي ﷺ ، وكتب رسالة للنبي ﷺ فيها هذه الأبيات :

شهدت على أحمـد أنـه رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري إلى عمـره لكنت وزيراً له وابن عــم

وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل هـم

كتب هذه الرسالة ، وأعطاها لواحد من العلماء ، وأجلسه في البيت الذي بناه للنبي ﷺ ، وما كان لهذا الوقت قد بعث النبي ﷺ ، ولكن الله نظم هذا حتى بعث النبي ﷺ وهاجر ، وعندما هاجر النبي ﷺ جلست ناقته على بيت أبي أيوب الأنصاري – رضي الله عنه – وهو البيت الذي بناه الملك للنبي ﷺ .

الاستقامة خاتمة كل خير

قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

قال القرطبي: قوله تعالى { فَاسْتَقِيمَا }قال الفراء وغيره : أمر بالاستقامة على أمرهما والثبات عليه من دعاء فرعون وقومه إلى الإيمان ، إلى أن يأتيهما تأويل الإجابة . قال محمد بن علي وابن جريج : مكث فرعون وقومه بعد هذه الإجابة أربعين سنة ثم أهلكوا . وقيل : استقيما أي على الدعاء ؛ والاستقامة في الدعاء ترك الاستعجال في حصول المقصود .

وقال البغوي: قوله تعالى { فَاسْتَقِيمَا }أي على الرسالة والدعوة ، وامضيا لأمري إلى أن يأتيهم العذاب.

وقال الطبري: وأما قوله تعالى { فَاسْتَقِيمَا }، فإنه أمر من الله تعالى لموسى وهارون بالاستقامة والثبات على أمرهما ، من دعاء فرعون وقومه إلى الإجابة إلى توحيد الله وطاعته إلى أن يأتيهم عقاب الله الذي أخبرهما أنه أجابهما فيه . أ هـ.

الله أكبر ؛ أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بالاستقامة على الدعوة (دعوة فرعون وقومه إلى الإيمان) فاستقاما أربعين عاما مع أنه في علمه سبحانه أن فرعون لن يؤمن وأنه سيهلك هو وقومه ، وكذلك الأنبياء الكرام في علمهم ذلك لأن

---

(١)سورة يونس ــ الآية ٨٩.

الله أخبرهما بقوله {قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا } ومع ذلك استقاما وذلك لأن الدعوة إلى الله (حاجة الداعي قبل أن تكون حاجة المدعو) لما فيها من: صلاح إيمان الداعي وصلاح أعماله ؛ وتعلق قلبه بربه؛ وازدياد يقينه بالآخرة؛

ويكفيك أن الشيطان لا يأتي إلى الداعي ليحرفه عن الدين مباشرة ؛ وإنما يسعى لينزله إلى رتبة العابد ثم يفتح عليه باب المباح ولا يزال به حتى يدخله من باب المعاصي، فالدعوة حصن حصين لمن استقام عليها على بصيرة (علم ويقين) وبالشفقة والرحمة.

فاللهم وفقنا للاستقامة على ما يرضيك وجنبنا ما يسخطك وخذ بأيدينا إليك ؛ أخذ الكرام عليك يا ذا الجلال والإكرام.

وختاما

نحمد الله الذي يسر لنا حب هذا الدين العظيم ، وأن استعملنا لهذا الجهد المبارك العظيم ، ونسأله سبحانه وتعالي ، أن يتم نعمته علينا فيبقينا دعاة إليه ، حتى نلقاه ، وأن يبعثنا يوم القيامة مع الدعاة إلى الله ﷻ ، لأن هذه الطائفة هم الطائفة المحبوبة عند الله ﷻ ، لأن الله ﷻ يعطيهم أكثر مما يعطي الناس ، لأنه يحبهم ، والذي يحب إنسانا يعطيه أكثر مما يعطي الآخرين ، فعلاقة الله سبحانه وتعالي مع الداعي علاقة حب ، ومع المؤمنين علاقة حب ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يعلم كم يعطي الإنسان إلى حبيبه ، لأنه ليس هناك قوانين تضبط قيمة العطاء ، إذا كان علي سبيل الحب ، ولذلك ما أحد يتصور كم يعطي الله ﷻ لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام من الرحمة ، والهداية والقوة ، والحماية ، والنصرة ، والتأييد ، والنجاة والعناية ، كان أحدهم إذا رفع يديه إلى السماء ، وليس فيها قزعة من سحاب ، لا ينزل يديه إلا والسماء تنهمر ، لأنه عطاء الحبيب إلى حبيبه ، لأن الله سبحانه وتعالي حيي ، كريم فيستحي أن يرد أيدي الأنبياء فارغة من العطاء ، لذلك فتح الله مجال العطاء للأنبياء ، بما لا يستطيع العقل البشري أن يتصوره ، وليس هناك مقدار محدد في القرآن ، كم سيعطي الله ﷻ لحبيبه النبي محمد ﷺ ، لذلك يقول : سيدنا بن عباس رضي الله عنهم : " أرجي آية في كتاب الله ﷻ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (١).. وفي الحديث عن

---

(١) سورة الضحى – الآية ٥ .

عبد الله بن عمرو العاص ، أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) وقال عيسي(٢) : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ (٣) فرفع يديه فقال: " اللهم أمتي أمتي " وبكي فقال الله تعالي : " يا جبريل اذهب إلى محمد ، وربك أعلم ، فسأله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال : فقال الله لجبريل ، اذهب إلى محمد ، فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك " رواه مسلم (٤) .

فالله ﷻ يعطي النبي حتى يرضي النبي، فالنبي ﷺ يقول:" لا أرضي وواحد من أمتي في النار " هذا بداية العنوان.. .فمشاء الله ، أننا مشمولين بعفو الله ﷻ ، وهذا أول شيء ... ولكن تبقي المراكز الحساسة في الجنة، ألا وهي: القرب من الله .. الارتقاء في الجنة إلى الفردوس الأعلى، وسط الجنة، وأعلي الجنة ، وسقفها عرش الرحمن ، و منها تتفجر أنهار الجنة الأربعة ، وهي منازل الأنبياء والمرسلين ، وأتباع الأنبياء الذين قاموا بجهد الأنبياء ، علي نهج الأنبياء .

فهذه هي المراكز النهائية العظيمة الجليلة، وليس مثل مراكز الدنيا ، فهي وشيكة الانتهاء ، لا قيمة لها ، وما فوق التراب تراب ولكن مراكز الجنة ، قال الله تعالي : "

---

(١) سورة إبراهيم – الآية ٣٦ .

(٢) أي تلا قول عيسي .

(٣) سورة المائدة – الآية ١١٨ .

(٤) مشكاة المصابيح باب الحوض والشفاعة ١٥٤٩/٣ .

أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علي قلب بشر ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مّآ أُخْفِيَ لَهُم مّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) متفق عليه (٢) .

وتظهر المراكز العالية ، عندما يزورون الرب جلا وعلا في الجنة " فيزورون ربهم " ويبرز له عرشه ، ويتبدي لهم في روضة من رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم – وما فيهم دني – علي كثبان المسك والكافور ، ما يرون أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله ! وهل نري ربنا ؟ قال : " نعم ! هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ " . قلنا : لا . قال : " كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقي في ذلك المجلس رجل ألا حاضرة الله محاضرة ، حتى يقول للرجل منهم : يا فلان ابن فلان ! أتذكر يوم قلت كذا وكذا ؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا . فيقول : يا رب ! أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلي ، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه ، فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ، ويقول ربنا : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، فيحمل لنا ما اشتهينا ،

---

(١) سورة السجدة – الآية ١٧

(٢) مشكاة المصابيح باب الجنة وأهلها ٣/١٥٦٢ .

ليس يباع فيها ولا يشترى ، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا " ، قال : " فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة ، فيلقى من هو دونه ـ وما فيهم دنى ـ فيروعه ما يرى عليه من اللباس ، فما ينقضي آخر حديثة حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ، ثم ننصرف إلى منازلنا ، فيتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبا وأهلا لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه ، فيقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا " رواه الترمذي وابن ماجه (١)

فنسأل الله ﷻ أن يشملنا برحمته ، وعفوه، وعطفه، وبره وكرمه الذي يكرم به المؤمنين ، وأن يجعل في قلوبنا الشوق إلى الآخرة ، دار الحياة الباقية الدائمة ، قال تعالي : ﴿ وَإِنّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وهي الحياة التي كان فيها أبونا آدم وأمنا ، حواء عليهما السلام ، ولكن بمخالفة صدرت منهما علي أثر نسيان، قال تعالي: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىَ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (٣) .

وعلي أثر هذا النسيان نزلنا إلى الدنيا، فكانت النتيجة كما نري كل يوم ونشاهد " قتال ـ دماء ـ مذابح ـ عذاب ـ مصائب " .

---

(١) مشكاة المصابيح باب ضفة الجنة وأهلها ١٥٦٩/٣

(٢) سورة العنكبوت – الآية ٦٤ .

(٣) سورة طه – الآية ١١٥ .

ما فقدناه بالنسيان، لا نعود إليه، إلا بالتذكير، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فإن الذِّكْرَىَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

ولا نعود إليه إلا بالعمل ، والجهد ، والتعب ، والتضحيات ، ولذلك الصحابة ﷺ جعلوا كل حياتهم ثمنا وتضحية، من أجل أن يرجعوا هم والبشرية كلها إلى الله سبحانه وتعالي : ﴿ إِنَّ إِلَىَ رَبِّكَ الرُّجْعَىَ ﴾ (٢). ﴿وَأَنَّ إِلَىَ رَبِّكَ الْمُنتَهَىَ ﴾ (٣) فرووا شجرة الإسلام في العالم كله بدمائهم .

والرجوع إلى الله سبحانه وتعالي، هو الرجوع إلى منزلهم الأصلي في الجنة .. ولذلك لما بايعوا الرسول ﷺ ، بايعوه علي أن يخرجوا من أموالهم ، وأنفسهم ، وأهليهم ، وكل شيء مقابل الجنة وعند الهجرة سألوا الرسول ﷺ : يا رسول الله ! إذا حميناك مما نحمي منه أنفسنا، وأموالنا، ونساءنا، فمالنا . قال: لكم الجنة . وما قال لهم: لكم الدنيا، ولكم الملك، ولكم المال فتصيروا أغنياء (مليونيريه)، تصيروا أقوياء .

فكان النبي ﷺ يربطهم بالآخرة .. حيث المناصب العالية ، بجوار ملك الملوك سبحانه وتعالي .. بجوار سيد المرسلين محمد ﷺ بجوار الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهكذا الداعي يعيش دائما هذا الفكر ، ولا يطلب علي دعوته

---

(١) سورة الذاريات – الآية ٥٥ .

(٢) سورة العلق – الآية ٨ .

(٣) سورة النجم – الآية ٤٢ .

أجر ، ﴿ وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَىَ رَبّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

فكل جهد يقدمه الإنسان ، لا يضيع عند الله ﷻ ، بل هو محسوب كم من الملائكة، يشتغلون ليلاً نهاراً يسجلون له جهده .. قال تعالي: ﴿مّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٢) .. وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتّمْ عَلَيْنَا قَالُوَاْ أَنطَقَنَا اللّهُ الّذِي أَنطَقَ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوّلَ مَرّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنّ اللّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مّمّا تَعْمَلُونَ﴾ (٣) .

كل شيء في حياة الإنسان يسجل، لأن حياة الإنسان غالية وعظيمة، لأن الإنسان عظيم، خلق لأمر عظيم، هو إعلاء كلمة لا إله إلا الله، في الأرض .

فالإنسان جندي لتنفيذ أوامر الله ﷻ في الأرض: ﴿ وَلِلّهِ جُنُودُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (٤) .

فنسأل الله ﷻ أن يثبتنا علي الجهد لدينه، علي نهج حبيبه، حسب مرضاته.

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٢٧ .

(٢) سورة ق – الآية ١٨ .

(٣) سورة فصلت – الآيتان ٢١، ٢٢ .

(٤) سورة الفتح – الآية ٧ .

الفهرس

م	الموضـــــــــــــــــوع	الصفحة
١	المقدمـــــــــــــة	٢
٢	جهد الدعـوة والتبليـــــــغ	٦
٣	الاستقـامـة وأسبابهـــــا	٨
٤	علآمـة الفهـــــــــــم	١٧
٥	مزاج العمـــــــــــل	١٩
٦	ثمرات الاستقامـــــــة	٢٢
٧	أســـباب الاستقامـــــة	٢٦
	ـ السبب الأول: اليقين والتصديق على عمل النبوة	٢٦
	ـ السبب الثاني: إن يعمل الداعي من أجل نفسه	٣١
	ـ السبب الثالث: أن يطمئن الداعي على قضاء حوائجه	٣٢
	ـ السبب الرابع: القيام على العمل بمزاج النبوة	٣٣
	ـ السبب الخامس: الإخلاص والاستخلاص	٣٧
	ـ السبب السادس: الاجتماعيـــــــة	٣٩

	ـ السبب السابع: العموميـــــــــــة	٥٠
	ـ السبب الثامن : البساطـــــــــة	٥٢
	ـ السبب التاسع: زيادة التضحيـــــــة	٥٦
	ـ السبب العاشر: الانقطاع الكلي عن جميع العلائق	٦١
	ـ السبب الحادي عشر: الصبر والتحمل	٦٢
٨	الاستقامة خاتمة كل خير	٦٧
٩	وختامـــــــا	٦٩
١٠	الفهـــــــرس	٧٥